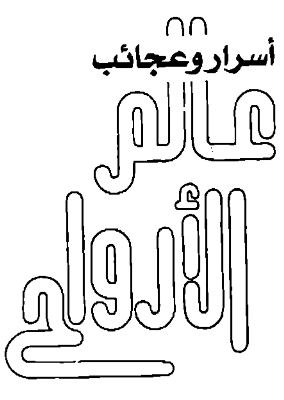
أسرار وعجائب

عالم الأرواح

قصص وتجارب واقعية مثيرة

أحمد حسين حافظ

كنوز
للنشر والتوزيع



قصص
وتجارب مثيرة

عالم الأرواح
قصص وتجارب مثيرة..

المؤلف:

احمد حسين حافظ

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشـــــر



للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

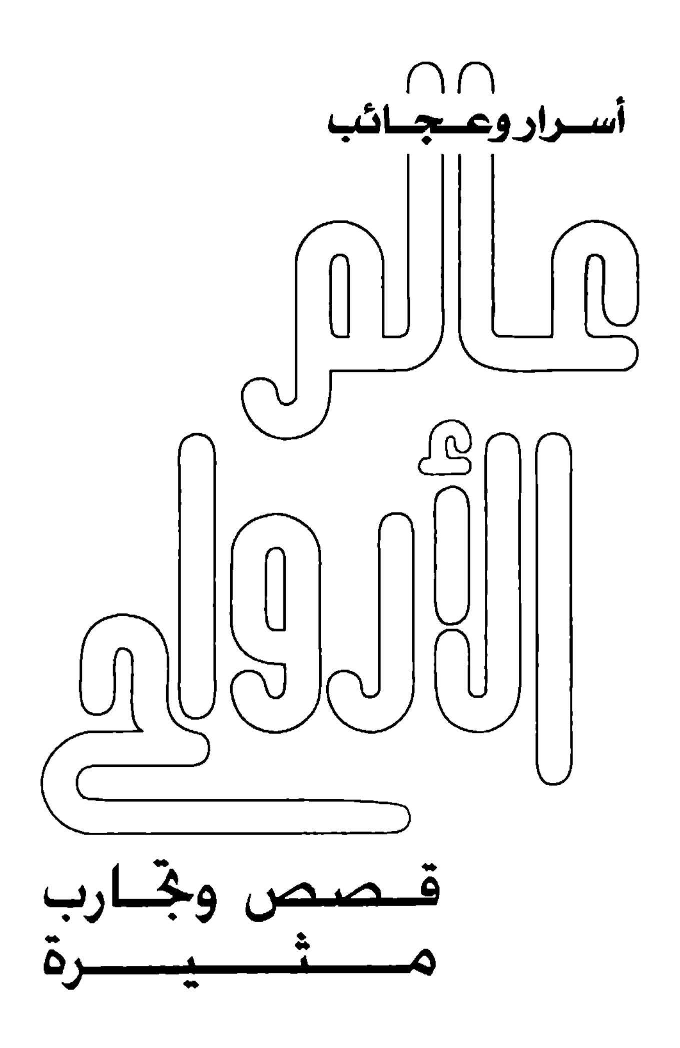
kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى

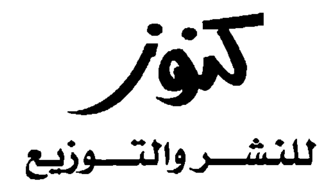


رقم الإيداع: 2009/1919

الترقيم الدولى: 2- 15-5307-977



أحمد حسين حافظ



مقدمة

لاشك أن البحث في عالم الأرواح مثير للجدل والنقاش بين العلماء والباحثين في مجال الميتافيزيقا أو ما يسمى بعلم النفس الغيبي أو فيما يتعلق بالدراسات الروحية التي تدور حول الروح وخلودها .

وبعض الحكايات عندما يسمعها أو يقرأها إنسان القرن الحادي والعشرين فإنه لا يصدقها . . أو يهملها إذا اعتبرها أسطورة خرافية . . لكنها في نظر علم نفس الخوارق تعتبر وقائع محتملة الحدوث للمجال للمبالغة أو الخرافة فيها . . والتاريخ حافل بمثل هذه الخوارق التي لم تخضع للمنهج العلمى إلا مؤخرًا . .

كما أن ما أثبته علم نفس الخوارق من الحقائق التالية يمكن أن يفتح للإنسان أبوابًا أخرى من المعرفة :

- فقد ثبت أن بإمكان العقل أن يتصل بعقل آخر دون واسطة مادية . .
- وأن كان بإمكان الاتصال بموجودات أو مخلوقات أخري يشعر بها دون واسطة . .
- وأن بإمكان العقل تخطى المسافات الشاسعة بروحانيات خاصة . .
- وأن بإمكانه التأثير في حركة الجماد والحيوان . .

عندما يتصل عليك أحد أصدقائك أو زملائك . . وترد عليه بالهاتف مثلاً . . تقول له :

كنت أريد الاتصال بك أنا أيضًا . .!

تشعر أحيانًا ببعض القلق . . والتوتر حيال شخص معين . . وبعدها يتضح لك أن هذا الشخص توفي فجأة . . أو مثلاً كان يعانى من وعكة صحية ألمت به . . وتعتبرها أنت صدفة .!

لكن عندما نفكر مليًا بهذا نجد بأنها تتكرر علينا مرارًا وتكرارًا ولا زلنا نعتبرها مجرد صدفة . . وهذه بعض أمثلة توضح نظريًا معنى الباراسيكولوجي (Parapsycholigy) . . الذى هو علم قائم بحد ذاته .

وهذه التسمية مكونة من قسمين أساسيين الأول :

Para : ويعني باللغة العربية ما وراء أو خلف . . و Psychology أي علم النفس . . أي أنه كتعبير لغوى . . وعلمي خاص يعني «ما وراء علم النفس» . . وقد أقر هذا العلم للمرة الأولى في القرن التاسع عشر في العديد من البلدان وأقيمت له الكليات والمعاهد . . سواء في الولايات المتحدة . . أو في روسيا في حقبة الاتحاد السوفيتي . .

وللباراسيكولجى عدة فروع . . منها :

Telepathie : التلباثي . . وهو كلمة مزجية من تعبير يوناني وتعني في الأصل الشعور عن بعد . . ويتعارف علي هذا المصطلح بالعربية بـ «التخاطر» وينقسم أيضًا إلي عدة فروع . .

Telekinsis : التيليكينز . . أي التحريك عن بعد بقوة العقل . . أو ما يعرف بـ «العقل فوق المادة» .

Clair-audiance : الجلاء السمعي . .

Clairvoyance : الجلاء البصرى (ما تسمى بالمكاتفة عند علماء المسلمين) .

Astral Poriection : الطرح الروحي أو الخروج من الجسد الذي يحصل بواسطة الجسد الأثيري Corps Astral

Spiritism : الاتصال بكائنات غير منظورة .

Extrasensory per ception : الإدراك عن غير طريق الحواس وهناك الكثير مما يدرسه هذا العلم . .

يقول الروحانيون في تفسير ظاهرة الكلام مع الأرواح :

إن لكل إنسان جسماً ظاهرياً مرئياً . . وجسماً آخر أثيرياً شفافاً . . يطابق الجسم المادي . . ولا يراه إلا أناساً مخصوصون . وإن الجسم الأثيري ينفصل عن المادي عند النوم أو الغيبوبة . .

وتسمى هذه الظاهرة "الطرح الروحي المؤقت" . . ولكنه ينفصل تماماً عند الوفاة . . ويسمى ذلك "الطرح الروحي الدائم" . . فيعود الجسم المادي إلى الأرض التي خلق منها . . ويعود الجسم الأثيري إلى العالم الذي هبط منه . . وهو عالم الروح أو البرزخ .

ويرى الروحانيون أن الجسم الأثيري ليس هو الروح . . بل هو الحامل لها . . وأنه يظل قائماً في عالم الروح . . مادامت الروح في حاجة إليه . . فإذا بطلت حاجتها إليه . . طُرح ليتحلل إلى عناصره الأولية . . وتصبح الشخصية حزمة من النور .

وهم يرون أن الجسم الأثيري يتكون من ذرات متناهية الدقة . . ومتباعدة بعضها عن بعض . . وأنه أمكن وزنه بتجارب أجراها الدكتور الأمريكي "دونكان مكدوجال" .

ويرون أن الجسمين المادي والأثيري ليس فيهما حياة بطبيعة تكوينهما . . ولكن سر حياتهما هو الروح . . وهو جوهر راقٍ . . لا يدخل في نطاق البحث الروحي .

أما العقل . . فهو العنصر المفكر في التكوين الإنساني . . وهو يعمل باستخدام وسيط مادي هو المخ .

وعلى ذلك فالإنسان في مجموعه مكون من أربعة عناصر مهمة . . هي : الجسم المادي . . والجسم الأثيري . . والعقل . . والروح . وهم يعتقدون أننا نحن البشر بعد أن نجتاز مرحلة الموت . . ونفيق من غيبوبته في العالم الآخر . . نجد أنفسنا في عالم . . تبدو لنا فيه الأحوال مشابهة جداًلتلك التي ألفناها على الأرض قبل الموت . . ولن يصحبنا إلا أخلاقنا وشخصياتنا . . كما أن منازلنا في عالم الروح سوف يحددها نوع الحياة التي عشناها على الأرض .

فإذا كنا قد عبدنا الله . . بخدمة عباده . . فليس لنا أن نخشى الموت وما بعده . . لأننا نكون قد هيأنا أنفسنا ببقاء أفكارنا وقلوبنا على الأرض . . لحياة أسعد وأفضل . . تتيح لنا التمتع بصحبة أحبابنا وأقاربنا . . الذين سبقونا للعالم الآخر . أما إذا أسأنا إلى العباد . . وحملنا قلوبنا الغل والحسد بدلاً من الرحمة والحب . . فلابد من دفع الثمن . . إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

ويقول الروحانيون أن الإنسان حينما ينام يفارق جسده الأثيري . . الذي يقوده العقل . . فيتجول في عالم الروح حيث يقابل أحباءه هناك . . ويضمحل الزمان والمكان . . ولكنه يظل

متصلاً خلال ذلك بالجسم المادي بحبل أثيري يمكنه من العودة إليه عند اليقظة . . وقد يتذكر ما رأى في منامه من أحبابه الموتى وما دار بينهم من أحاديث .

ويرى بعض المعارضين للروحية أن القوى التي تظهر في الاستحضار بما أنها تخبر بأنها في نعيم . . وقد يكون أصحابها معروفين بالكفر أو الآثام في الدنيا وهي مع ذلك تسوق كثيراً من الآراء التي تناقض تعاليم الأديان .

وعلى ذلك فهم يرجحون أن تكون هذه القوى الروحية عوالم أخرى من عوالم الكون غير المادي لها القدرة على التشكيل بما تشاء من الصور . . وتتصل بالإنسان في حال الحياة فتعلم كثيراً من شؤونه وما يحيط به . . ثم تخبر ذلك حين الاستحضار . . وليست هي أرواح الموتى حقيقة .

ولاشك أن هذا البحث من أدق البحوث وأولاها بالعناية وطول التفكير . . ومن واجب العلماء في الأمم الإسلامية أن يسابقوا علماء الغرب في هذا المجال . . وأن يكثروا من التجارب الدقيقة لمعرفة حقيقة هذه الأمور بأنفسهم بما أنهم الحائزين لأعظم ميراث روحي عرفته الإنسانية . . وهم أولى الناس بتعريف حقائق هذه البحوث .

وأخيراً فموضوع البحث في الروح وخلودها ليس موضوع تحضير أرواح كما يظن الكثيرون خطأ بل إنه موضوع متعدد الجوانب شديد الخطورة . . جدير بأن يلقى المزيد من العناية من باحثينا .

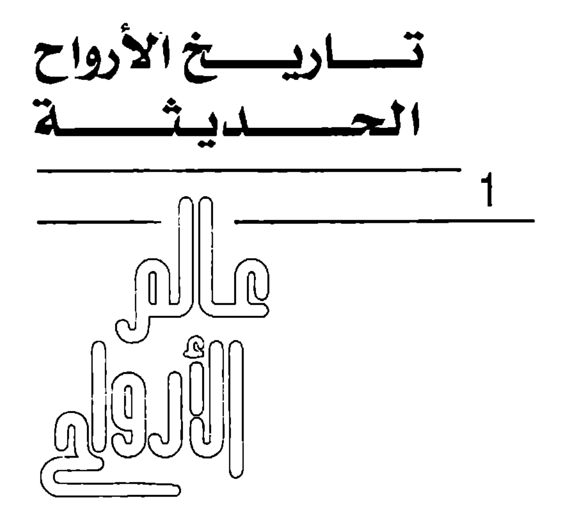
وفي ذلك كله ما يضفي على الكتابة في هذا الموضوع قيمة خاصة . . ويجعل نفع القارئ به محققاً وجليلاً . . والله نسأل أن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل

أحمد حسين حافظ

■ ■ ■

تاريخ الأرواح الحديثة

1



بدأت الحركة الروحية الحديثة في قرية هيد سفيل قرب مدينة روشلستر بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية وبدأت بحدوث الظواهر التي وقعت في منزل صغير متداع بهذه القرية كانت تقطنه عائلة فوكس "Fox" وكان السيد جون فوكس "John Fox" رب الأسرة أباً لستة أولاد . . اثنتان منهما كانتا تقيمان معه وكانتا أصغر أفراد الأسرة . . كبراهما تدعى مرجريت "Margaret" وكانت تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً . . والصغرى كانت تدعى كيت "Kate" وكان عمرها اثنا عشر عاماً . وكانت الشائعات تتردد عن وجود أشباح تسكن في المنزل . . ويقال أن السكان السابقين الذين أقاموا فيه قبل عائلة فوكس كانوا يسمعون ما يشبه الرنين والطرق على الأبواب .

وقد بدأت الظواهر منذ يوم ١١ ديسمبر سنة ١٨٤٧م ولكنها لم تظفر بالتحقيق العلمي المطلوب إلا ابتداء من شهر مارس سنة ١٨٤٨م . . بعد أن حيرت عقول الناس لفترة طويلة . فقد لاحظت الفتاتان أصواتاً مزعجة تسمع ليلاً . وقد أرجعوا هذه الأصوات في بادئ الأمر إلى القطط أو الفئران ثم إلى العوارض الخشبية أو الألواح المفككة . إلا أنهما لم تلبثا أن تحققتا بأن هذه الأصوات ليست إلا قرعات واضحة مقصودة . وذات مرة في إحدى ليالي شهر مارس سنة ١٨٤٨ ذهبت الفتاتان للنوم في مضجعهما . . وكان والدهما معهما في الغرفة . . اشتدت القرعات أكثر من ذي قبل . فنهض السيد فوكس ليحكم قفل النافذة فوجدها محكمة الغلق . وفيما هو يهم بالرجوع لاحظت كيت "Kate" أن والدها حينما هز قفل النافذة خيل إليها بأن القرعات تجيب فالتفتت إلى حيث كان الصوت ولطمت إصبعاً من أصابع يدها بالآخر . .

وهتفت : "أيها الشيطان . . افعل كما أفعل" . وأجابت القرعات في الحال مما أفزع الفتاتين . . وخافتا من مواصلة الحديث مع هذا "الشيطان" إلا أن أمهما تدخلت وحاولت تدعيم أواصر الصلة مع هذا "الشيطان" فطلبت منه أن يخبرها عن عمر الفتاتين بطريقة الدق المتتابع . . فتلقت صوت نقر واضح . . وحدد عمر الفتاتين تماماً . مع فاصل زمني قصير للتفريق بين سن كل منهما . ثم تساءلت الأم : هل هو كائن بشري ذلك الذي يجيب عن أسئلتي؟ فلم تتلق أي صوت . ثم سألت مرة أخرى : هل هي روح؟ إذا كان الأمر كذلك فلتطرق مرتين . وما إن انتهت من هذا السؤال حتى سمعت الطرق مرتين .

وبهذه الطريقة قرر مصدر الطرق أنه روح متوفي كان يدعى تشارلز روزنا "Charles B. Rosana" وأنه كان أباً لخمسة أطفال وأرمل . . وأنه مات قتيلاً بمعرفة مستأجر سابق لهذا الكوخ ذكر اسمه . . وذلك طمعاً في ماله . كما قرر أنه مدفون في الكوخ . وبعد الحفر في سرداب الكوخ تم العثور على عظام آدمية . . استخرج بعضها . . كما تم البحث مرة أخرى لإخراج بقية العظام عام ١٩٠٤ . . ووجد مع الهيكل العظمي صندوق من الصفيح . . وقد تطابقت الأحداث مع الرواية التي قصتها الروح عن زيارة بائع متجول للمنزل أعقبتها عملية الاغتيال . . وقد أكدت ذلك إحدى الخادمات التي عاشت بالمنزل قبل انتقال عائلة فوكس إليه .

ولقد كانت هذه الظواهر من الأمور التي يحوطها الكثير من الحيرة والغموض . . مما دعا الجهات المسئولة إلى أن تهتم بها وتعني ببحثها . . فشكلت لها ثلاث لجان رسمية متوالية . . كما ساهم فيها عدد من العلماء الباحثين المجربين الذين انتهوا متفرقين ومجتمعين إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة هي أرواح الموتى ممن انتقلوا إلى العالم الآخر .

وكان ممن بحثوا ظواهر كوخ هيد سفيل القاضي جون وورث إدموندز "١٨١٦- ١٨٧٤" الذي كان في وقت ما رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكي . . وقرر في خطاب له نشرته جريدة " نيويورك هيرالد" "بتاريخ ٦ أغسطس عام ١٨٥٣" لقد ذهبت من أجل التحري عن هذه الظواهر معتقداً أنها مجرد خداع . . وكنت أنوي نشر ذلك على الجمهور . . ولكنني عندما وصلت ببحوثي إلى نتيجة عكسية . . فإني أشعر بأنني عليّ التزام قوي بتعريف الناس بهذه النتيجة" .

كما تصدى لبحث هذه الظواهر روبرت هير "Robert Hare" أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا .

وكان عضواً بالمجمع العلمي . . وفي البداية اتهم الباحثين في الروح بأنهم يسيرون حثيثاً إلى الجنون . لكنه قام ببحث بعض الظواهر الوساطية على وسيطة تدعى السيدة جورا هاتش "Gora Hatch" . . ثم على وسيطة أخرى تدعى السيدة ريتشموند "Richmond" وتلقي أجوبة علمية صحيحة على أسئلته .

وقد قال روبرت هير في كتابه "تحقيق تجريبي لظواهر الروح Experimental Investigation of the Spirit Manifestations: إن جميع البينات التي حصلت عليها والتي أسلست عليها النتائج التي أشرت إليها حصل على مثلها وفي جوهرها عدد كبير من الباحثين . ومنهم كثيرون لم يفكروا مطلقاً في أمر الاتصال بالأرواح ولم يدر بخلدهم أن يصبحوا روحيين . وهم على استعداد لأن يؤكدوا حدوث هذه الظواهر والتحركات . . وعلى غير استعداد لأن يتنازلوا عن الجزم بها حتى وإن كانت غامضة عليهم" .

ثم توالت المؤلفات عن الروحية الحديثة وتنوعت موضوعاتها . . وكان من أبرزها كتاب السيد روبرت ديل أوين "Robert Dale Owen" (١٨٠١- ١٨٧٥) الذي كان دبلوماسياً ووزيراً مفوضاً وكان بعنوان "العثور على حدود عالم آخر Foot Falls on the Boundaries of Another World". الذي ظهر عام ١٨٦١م .

ثم انضمت للحركة الروحية الأمريكية بعد مقاومة شديدة جرائد ومجلات شتى . كما أبدى عدد من كبار السياسيين عطفه على هذه الحركة . . ولم يخف بعضهم اقتناعه التام بصحة الموضوع . . وكان من بينهم الرئيس الأمريكي السابق ابراهام لنكولن "Abraham Lincoln" الذي أخذت تعقد الجلسات في حضوره في البيت الأبيض في عام ١٨٦٢ . . وقد تلقى فيها بعض آراء وتوجيهات اقتنع بصحتها وأثرت في آرائه العامة .

وقد انضم المخترع الشهير إديسون إلى المشتغلين بالبحوث الروحية وإلى الجمعية الثيوصوفية . . وهي جمعية تقوم على الفلسفة الروحية . . وبوجه خاص على الأخوة

الإنسانية . . وقد أسستها مع الكولونيل أولكوت "Olcott" في سنة ١٨٧٥م الوسيطة الروسية المعروفة السيدة هيلين بتروفا بلافاتسكي "Blavatsky" (١٨٣١- ١٨٩١) التي أقامت في مصر في شبابها . . وأسست بالقاهرة عام ١٨٧١ أول جمعية روحية .

وعندما ازدهرت حركة البحث الروحي في الولايات المتحدة الأمريكية أنشئت "جمعية البحث الروحي الأمريكية "A. S.P.R على غرار جمعية البحث الروحي البريطانية والتي كانت قد أنشئت عام ١٨٢٢م أما الجمعية الأمريكية فقد أنشئت عام ١٨٨٩م .

وكان من أقطاب جمعية البحث الروحي الأمريكية المؤسسين واحداً من أبرز فلاسفة أمريكا في عصره وهو وليم جيمس "William James" الذي شغل منصب نائب رئيس الجمعية الأمريكية منذ عام ١٨٩ . . واختير رئيساً للجمعية البريطانية عام ١٨٩٤م . ومن مؤلفاته القيمة في هذا المجال كتاب "إرادة الاعتقاد The Will To Believe" .

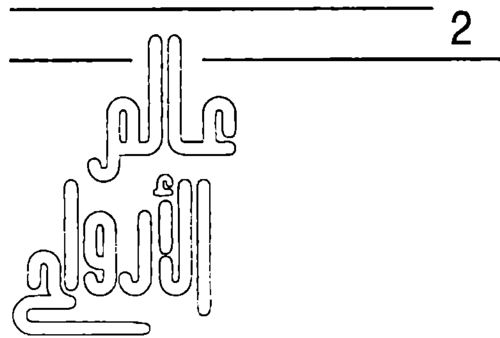
وقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسي وأبحاثه في العلاج الروحاني ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية . وصل من ذلك إلى حقيقة هامة . . هي أن شعورنا اليقظ الراهن ليس إلا نمط واحد من أنماط الشعور الإنساني ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً في حياتنا . . . ويروي بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة . . واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شئ .

وقد ازدهرت الحركة الروحية ازدهاراً قوياً وتعددت الأكاديميات وكراسي الأستاذية في شتى الجامعات والهيئات العلمية التي تعني بدراسة الظواهر الروحانية في مختلف بلاد العالم .

■■■

أبحـاث فلسـفيـة عن الروح وخلودها للعلامة مـحـمـد فـريد وجـدى

2



أصدر الأستاذ محمد فريد وجدي[1] أول جريدة عربية للبحث في الأمور الروحية الحديثة وهي مجلة "الحياة" . ثم عنى بنشر هذه الأمور في جريدته اليومية "الدستور" . . ثم في مجلتي "المقتطف" و "الهلال" . وأدخل على أبواب مجلة "الأزهر" البحوث الروحية الحديثة منذ بداية رئاسته لتحريرها عام ١٩٣٤ وحتى اعتزاله رياستها عام ١٩٥٢ . والعلامة محمد فريد وجدي هو صاحب "دائرة معارف القرن العشرين" . . وهي من أهم دوائر المعارف العربية . . وله فيها آراء عديدة عن الروح الإنسانية . . وعن الروحية الحديثة . . نقتطف منها ما يلي :

الروح الإنسانية

مسألة الروح الإنسانية وخلودها من أكبر المسائل الفلسفية وقد تنازعتها الفلسفات المتضاربة بالإيجاب والسلب قروناً طويلة . . ولا غرو فهي أعلق المسائل بقلب الإنسان لأنها أمس المسائل به . . وأكثرها علاقة بشئونه . . بل هي مُطمأن آماله حين ينقطع رجاؤه من عالم الحس . . ومُتَنَسَّم نفسه حين يعجز الوجود المادي عن متابعة أحلامه وأمانيه .

---

(١) هو كاتب إسلامى مصرى الجنسية من أصول شركسية ولد في مدينة الإسكندرية بمصر سنة ١٨٧٨م . . وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٤م . . عمل رئيسًا لتحرير مجلة الأزهر . . له العديد من المؤلفات ذات طابع ديني ووثائقي ومن أهم كتبه كتاب كنز العلوم واللغة . . وكتاب دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) ويقع في عشرة مجلدات . . وكتاب «صفوة العرفان في تفسير القرآن» . . وكتاب (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) . . وله كتاب في شرح مبادئ الإسلام . . ورد الشبهات عنه اسمه (الإسلام بين العلم والدين) . . ومنها أيضًا رده العلمى المتين على (الشعر الجاهلى) لطه حسين . . لم يقتصر نشاطه علي الدين فحسب ولكن كان له نشاط سياسى واضح حيث عارض الرعيم الوطنى مصطفي كامل في الذهاب إلي فرنسا بعد حادثة دنشواي ١٩٠٦ وكان يرى أن السفر يجب ألا يقتصر علي فرنسا فحسب . . ولكن للعديد من الدول الأوروبية .

الإنسان عالم عجيب مُنح من قوى التعقل بمواهب ليس وراءها غاية حتى أنه ليحكم على وجوده بالنقص من بعض جهاته . . وينتقد على النواميس الأزلية تحكمها في كثير من شطحاته .

ومُنح من كرائم العواطف بما يريه الكمال على إطلاقه . فعرف العدل والرحمة والجمال والحب والفضيلة على حالاتها المطلقة فأصبح يرى وراء كل عدل عدلاً أشمل منه . . وخلف كل رحمة وجمال وحب وفضيلة معاني أرقى منها . . على أنه قد يمرح ويشرب . . ويتغنى ويطرب . . ويكافح ويصارع . . ويماكر ويخادع . . ويشح ويبذل ويطيش ويقتل . . فتارة يعلو كبراً إلى السماء . . وطوراً يستخذى حتى يلتصق بالدقعاء . . وحيناً يتقمص روح الحكماء . . ومرة يتلون تلون الحرباء . . حتى يخيل لمن يتدبر حالته أنه لا يفكر في غير التملق لذاته . . والتعبد لذاته . . وهو خيال طوح بصاحبه عن حقيقة الحال فإن الإنسان مهما تلونت أحواله . . فظهر بمظهر عدم المبالاة بمسألة روحه . . فهي أعلق المسائل بقلبه . . وأشدها تأثيراً على لبه . فما خوفه من الموت . . ولا هلعه من الأمراض . . ولا جزعه من البوائق بل وما تملقه لذاته . . وجريه وراء لذاته . . إلا أثراً من آثار ذلك الاهتمام بمسألة روحه . يتبين ذلك من أجلي وجوهه من لا يقف مع النظر السطحي . . والبحث القشري .

هل أتى على واحد من نوع الإنسان حين لم يفكر في مصير نفسه بعد الموت وعاقبة أمره بعد انحلال جثمانه؟ لا أظن أن إنساناً تجرد عن هذا الفكر إن لم يكن في كل أحيانه فكلما مر ببصره حادث يفكره بمصيره . . أو طرق سمعه خبر تنزعج له حواسه .

قد تصرف الإنسان عن الفكر في مسألة روحه صوارف شتى من تكاليف حياته . . وشؤون مكافحاته . . ولكنه متى أصابه عرض مرض . . تنبهت مشاعره . . وتيقظت حواسه . . وفكر فيما عسى أن ينتهي إليه أمره إن أودي هذا المرض بحياته . فأما الذين رزقهم الله إيماناً ثابتاً فتهب عليهم من قبل عقيدة الخلود نسمة هدوء وسكون فيستسلمون للقدر راجين فضل الله ورضوانه . وأما الذين تكون الشبهات العلمية قد أخذت من ألبابهم . . ونالت من عقائدهم فيتلمسون في تلك اللحظة استجماع أدلة الخلود مقودين إلى ذلك رغم أنوفهم فكلما لاح لهم دليل هشوا إليه وبشوا . . وتلقوه تلقي الظمآن المنقطع للماء السلسال . . ومن تكون الشبهات قد

أتت على مادة إيمانه فاستأصلتها . . ونور فطرته فطمستها فيشعر من تارات اليأس . . وظلمات الكمد بما لا يعد مرضه بجانبه شيئاً مذكوراً وكثير منهم يتعجل الموت هرباً مما هو فيه من اليأس . . وأظن أنه ليس في القراء من لا يذكر أنه قرأ أخباراً عن الذين قتلوا أنفسهم في حالة المرض . . تذكر الجرائد أنهم قتلوها تخلصاً من الآلام والحقيقة أنهم قتلوها هرباً من اليأس وشروداً من وجه فكرة الفناء المظلم .

عاطفة حب الخلود من أشرف عواطف النفس بل هي العاطفة الكريمة التي تشعر بأنه من طبيعة أرقى من طبيعة هذه الأرض . . وقد اتخذها بعض الفلاسفة من أدل الأدلة على حقيقة الخلود . فقالوا إذا لم يكن للإنسان خلود فلم أودعت فيه هذه العاطفة ولم يعهد في أعمال الطبيعة الجزاف والسرف؟ .

كان لا يعنينا من أمر التدليل على حقيقة الخلود ما يعنينا الآن لولا أن الاعتقاد به هو العامل الوحيد المؤيد لأركان الأخلاق . . والباعث القوي على التعالي عن البهيمة العجماء .

للقارئ أن يتأمل في سيرة رجلين أحدهما منكر للخلود يظن أن من مات تحلل جسمه . . وأمحى أثره . . وزال وجوده وبطل كل ما بلغه من محصول عقلي . . وارتقاء نفسي . . وكمال صوري وأدبي . . والآخر مثبت له يعتقد بأن الموت انتقال من دار أعمال إلى دار جزاء يرى فيها كل عامل ثمرة ما عمل من خير وشر . . وتنفتح له من باحات الجمال المعنوي ما يدوم عروجه فيه إلى كمال لا يحد بحد . . ولا يتقيد بقيد .

للقارئ أن يتأمل في حال أولهما ليرى هل يعقل أن تكون له شكيمة ترده عن هوى . . أو تصده عن غي . . أو تصرفه عن باطل . . أو تزجره عن إتيان قبيح .

إن من الملحدين من هم فضلاء في نظر المجتمع ولكنها فضيلة ظاهرة لا ترتكز على أصول نفسية . . فضيلة أوجدها الحياء من المعاشرين . . والتقية من سطوة القوانين . . وإلا فلو لاح له هتك عرض . . أو سلب مال . . أو أي متاع وكان الجو خالياً . . والرقيب غائباً . . غشيه غير هياب ولا خجل لأن الشهوة إذا امتلكت ناصية النفس قادتها إلى كل رذيلة . . وركبت بها كل دنيئة .

أنا ممن يعتقد أن للروح قدرة ذاتية على كبح جماع صاحبها لأنها من عالم علوي تنزع بفطرتها إلى الكمال . . ولكن قلما يصل إنسان إلى إنالة روحه سلطانها على جسده لأن هذا الأمر يحتاج لرياضة نفسية قاسية لا تسهل إلا لمن يعتقد بالخلود .

فعقيدة الخلود هي لا أقول الرادع للإنسان عن إتيان القبائح وغشيان الخسائس بل أقول هي مطمأن نفسه . . وسكن خواطره ومعتصم اندفاعاته . . بها تمتد أشعة أمانيه إلى ما لا نهاية . . ولا تقف مراميه عند حد . . فتجد فطرته متسعاً لمواهبها . . ومضطرباً لعواطفها فيصبح فاضلاً لا لأنه يخاف عذاباً . . بل لأنه يجد لذة الفضيلة أكبر من لذة الرذيلة فيميل للأولى رغماً . ولا فضيلة لمن لا يعتقد بأنه حيوان فان .

وعلى هذا كان لا مناص لنا وقد وصلنا إلى بحث الروح من توفية هذا المقام حقه لتقرير هذه العقيدة الجليلة أولاً . . ولدحض الشبهات التي يتلاعب بها الماديون ثانيا . فقد كثرت هذه الشبهات حتى كاد من يحفظ منها شيئاً أن يعد نفسه من الخالصين من أسر الأوهام مع أنه لو تأمل في الأمر ملياً اتضح له أنه بإنكاره انحط من المدركات إلى أسفل المدركات ولكن لكل جديد لذة .

على أنه سيتضح للقارئ مما يلي أن دولة الماديين قد دالت . . وجدتهم قد زالت . . وأن الله قد فتح على الناس من قبل المحسوسات ما أرغم أنوف غطارفتهم والله غالب على أمره .

رأينا لتحقيق هذا البحث واستيفاء الكلام فيه أن نقدم فذلكة تاريخية في عقيدة الخلود عند الأمم القديمة ثم نتبع ذلك بتاريخ البراهين عليها ملمين ببراهين القدماء من فلاسفة اليونان والمسلمين ثم نأتي على براهين أقطاب العلم الأوروبي العصري وما يقابلها من شبهات الماديين . . ثم نتبع ذلك بالأدلة الحسية التي يقيمها الباحثون في التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح فيكون جملة ذلك كله خلاصة ثمنية لأحسن ما عرف من البراهين الدامغة على وجود الروح والخلود والله ولي الكفاية .

عقائد القدماء في الروح والخلود:

كانت الأمم القديمة عامة تعتقد في وجود الروح وخلودها . فكان الهنود ولا يزال وثنيوهم على ما كانوا عليه يعتقدون أن الروح الإنسانية نفخة إلهية وأن الإنسان متى مات تكتسي الروح بجسد نوراني شفاف لا تدركه أبصار الأحياء وتنتقل إلى الملأ الأعلى . هذا ما كان يعتقده

الهنود منذ عدة ألوف من السنين وقد ثبت لدى الباحثين العصريين في الروح ما يشبه هذا بل كأنه هو . وذلك قولهم أن للروح غلافاً مادياً ولكن من طبيعة أرقى لا تعدو عليه نواميس الطبيعة فلا ينحل ولا يتركب وهو الذي تخلد به الروح في العالم الثاني . . وتلك أيضاً كانت عقيدة جميع الشعوب القديمة الراقية .

وكان المصريون يعتقدون قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة آلاف عام بأن الموت عبارة عن انتقال من حال إلى حال أرقى منه وكانوا يقولون أن الروح بعد خروجها من الجسد تكتسي بجسد جديد ولكن أرق من الجسد الدنيوي وأرقى منه لا تؤثر عليه المؤثرات وكانوا يسمونه (كا) .

أما الصينيون فإنهم من أعرق الأمم في عقيدة الخلود وقد كان مشرعهم الأكبر كونفشيوس[٢] الذي كان عائشاً في القرن (السادس ق .م) يعجب بما كان موجوداً قبل وجوده بعدة قرون من عبادة الأرواح وقد كان كما قال المسيو (بوتييه) في كتابه على الصين صفحة ١٣٦ بأنه كان يعتقد بأن للروح غلافاً جسدانياً غير الجسد العادي لا تؤثر فيه مؤثرات الفناء وكان يقول بأن الأرواح تحيط بنا من كل جانب وأن لها قدرة على الظهور لنا بمظاهر جسدية .

ولما انتشرت البوذية في الصين أقرت عقيدة الأرواح .

أما في بلاد الفرس فقد أتي رسولهم زورواستر[٣] بأصول جديدة فقد قال إن دون الروح الأزلية القديمة (يعني الله) روحين متضادين أحدهما يدعى أرموزد . . وهو المكلف بالخلق والإيجاد والثاني إهريمان وهو مسوق للإفناء والملاشاة وهما في تنازع مستمر . . ثم أن لروح الخلق والإيجاد أعواناً من أرواح ثانوية وظيفتها أن تحفظ خلقه وتكلأهم حتى أن لكل إنسان حافظاً منهم قد عهد إليه حفظه فكان عمل هذه الأرواح الحافظة ينحصر في مكافحة الأرواح الشريرة التي يبثها روح الشر إهريمان لإفساد عمل روح الخير أرموزد . . فإذا مات الإنسان صعدت الروح الحافظة إلى السماء لتتمتع بالاستقلال الأبدي . . أما اليونانيون القدماء فقد عرفوا الروح والخلود أتم معرفة فقد ذكر هوميروس[٤] شاعرهم الأقدم أن روح باتروكل زارت البطل أشيل في خيمته .

---

(٢) كونفوشيوس هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي . . والأخلاقي . . ففلسفته قائمة علي القيم الأخلاقية الشخصية . . وعلي أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاقي أعلي . . وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم في سلوك الناس أكثر من ألف عام . . ويلقب بنبي الصين .

(٣) هو مؤسس «الزرادشتية» .

(٤) الشاعر الإغريقي الشهير .

ذكر (موري) في كتابه السحر والتنجيم أن جمهور فلاسفة اليونان كانوا يعتقدون بأن لكل إنسان روحاً حافظة له تمثلت فيها شخصيته المعنوية فكانت الأرواح الحافظة للعامة من الأرواح التي لا ميزة لها . . وأما حفظة العقلاء فكانت من الأرواح العالية .

وقد كان الفيلسوف تاليس[1] الذي كان عائشاً في منتصف القرن السابع قبل المسيح يقول بأن العالم مشحون بالأرواح والشياطين وأنهم يجولون بين أيدينا ومن خلفنا وأنهم يروننا من حيث لا نراهم .

وكان (ابيمينيد) المعاصر للمشرع (سولون)[2] ترشده الأرواح ويتلقى وحياً إلهياً كما جاء في تاريخه . . وكان شديد الاعتقاد بالتناسخ حتى أنه لأجل أن يقنع الناس بهذه العقيدة كان يقول لهم أنه تناسخ مراراً وأنه كان فيما سبق عائشاً في جسد الرجل المدعو (أوكوس) .

---

(١) يعرف أيضًا بتاليس المليسي . . أحد فلاسفة الإغريق قبل سقراط . . وهو واحد من حكماء الإغريق السبعة الذين يعود لهم الفضل في سن قوانين اجتماعية متقدمة وذلك بعد حرب أهلية خاضها الفقراء ضد طبقة الملاك . . وسمي قانونهم قانون أتيكا . ويتضمن حق الملكية الفردية المحدودة . . وحق الشعب في الإشراف علي مؤسسات الدولة . . وحق الجماعة في تشكيل حدة لها قوانينها الخاصة التي تحكمها وتخضع لقانون الدولة العام . . يعتبره العديد هو الفيلسوف الأول في الثقافة اليونانية وأبو العلوم . . عاش طاليس في مدينة ميلتوس في أيونيا . . بغرب تركيا . . يذكر عنه من ناحية الفلسفة الإلهية أنه كان ينادي بإله واحد . . وأن هذا الإله مختلف عن الإنسان . . وأن صفات الله ليست تلك الصفات التي ينسبها الشعراء إلي الآلهة . . فإن هذه الصفات صفات إنسانية خالصة . . وهو بالطبع فلسفة منطقية . . فالله لا نواقص في ذاته حيث لم يلد ولم يولد ولا يموت ولا كالبشر يبدأ وجودهم في لحظة بل هو موجود منذ الأزل (اللابداية) .

(٢) سولون هو أيضًا واحد من حكماء الإغريق السبعة . . شخص مشهور قام بسن القوانين . . وُلد في أثينا لعائلة نبيلة . . وشاتهر في البداية بوصفه شاعرًا . . وقد أدت قصائده دورًا كبيرًا في حث الأثينيين علي استرداد جزيرة سلاميز التي كانت تحت أيد أجنبية لفترة طويلة . . تولى قيادة القوات التي أرسلت لاسترداد الجزيرة . . وقد قام بإخضائعها بشكل سريع . . وتم اختياره بعد ذلك أرخونًا (الحاكم الأول) وأوكلت إليه سلطة تغيير القوانين . . وكانت أثينا في حاجة ماسة للتغيير السياسي والاقتصادى . . وكان القدر الأكبر من الثروة متمركزًا في يد قلة من المواطنين ذوي النفوذ . . وكان المزارعون قد أُجبروا علي رهن أراضيهم مُقابل التعديل الوحيد الذي أدخله سولون في تجارة أثينا الخارجية هو إصدار قانون يمنع تصدير الحبوب . . أعادت إصلاحات سولون الدستورية . . تقسيم المواطنين إلي أربع طبقات وفقًا للدخل . . ويسمح للمواطنين من كل الطبقات بأن يُصبحوا أعضاء في الجمعية التشريعية وفي المحاكم المدنية . . وقد أسس وأقام المحاكم الشعبية التي يستطيع المواطنون أن يحتكموا إليها ويستأنفوا ضد قرارات موظفي الدولة . . وقد أبقي سولون علي الشروط القديمة التي بموجبها يحق فقط للطبقات الثلاث العُليا تولي المناصب العامة العُليا ويحق فقط لأعلي طبقة تولي مصب الأرخون . . وقد أبقت هذه الشروط علي الأوليجاركية ـ أي حكم الأقلية ـ ولكن إصلاحات سولون كانت خطوة مؤكدة في طريق الديمراطية . . وقد قيل إن سولون جعل الأثينيين يَعْدونه بالالتزام بقوانينه لمدة ١٠ سنوات . وترك البلاد بعد ذلك . وعندما رجع بعد ١٠ سنوات وجد البلاد تخوض حربًا أهلية وسرعان ما سيطر بيزيستراتوس علي الأمور . . وبعد معارضته بيزيستراتوس . . تقاعد سولون وابتعد عن الحياة العامة .

أما سقراط وتابعه أفلاطون[١] فقد وجدا أن المسافة بين الله والإنسان بعيدة المدى فملأ الوجود بالأرواح المتوسطة زاعماً أنها خلقت لتحفظ الشعوب والأفراد وتوحي إلى الناس أنباء الغيب .

وقال إن الروح كانت موجودة قبل أن يخلق جسدها وهي متمتعة بالمعارف الأزلية . ولكنها لما تتصل به تنسى جميع ما تعلمه ولا تحصل عليه إلا رويداً رويداً بالتعلم والاحتكاك بالأمور الحيوية واستعمال العقل والفكر . فالتعلم في نظره هو التذكر والموت هو الرجوع إلى الحالة التي كانت عليها الروح قبل دخولها في الجسد . فهي إما ترجع إلى نعيم أو عذاب على حسب ما قدمت من الأعمال .

ثم قال لكل روح روحاً تحفظها وتوحي إليها ما ينفعها في حياتها وعليه فيمكن أن يتوصل الأحياء لمخاطبة الأرواح وهم في هذا العالم . وقال إن روحاً كانت تكلمه وترشده في جميع أموره وكان يسمع صوتها ويأتمر بأوامرها[٢] .

الخلاصة إن عقيدة وجود الروح وخلودها وظهورها للأحياء في بعض الأحوال الخاصة أمر عام في الأمم وكنا نستطيع أن نتوسع في الإلمام بعقائد الشعوب المنحطة فيها ولكن عددنا ذلك

(١) أفلاطون (باليونانية Πλατων : بْلاتُون) هو أرسطوقليس . . الملقب بأفلاطون بسبب ضخامة جسمه . . وأشهر فلاسفة اليونان علي الإطلاق . (عاش بين ٤٢٧ ق .م ـ ٣٤٧ ق . م) . . وأحد أعظم الفلاسفة الغربيين . . حتي أن بعض الفلاسفة الغربية اعتبرت أنها ما هي إلا حواشي لأفلاطون . . عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن . . كانت كتاباته علي شكل حوارات . . وقصائد قصيرة محكمة . . منتهية بحكمة ذات سخرية لاذعة . . يحدد أفلاطون بأنها عالم الأفكار . . وقد ولد أفلاطون في أثينا لعائلة أرسطوقراطية . . وقد تأثر أفلاطون كثيرًا فيما بعد بالحُكم الجائر الذي صدر بحث سقراط وأدي إلي موته . . الأمر الذي جعله يعي أن الدول محكومة بشكل سيئ . . وأنه من أجل استتباب النظام والعدالة ينبغي أن تصبح الفلسفة أساسًا للسياسة . . سافر إلي جنوب إيطاليا . . التي كانت آنذاك جزءًا من بلاد اليونان القديمة . وهناك التقي بالفيثاغوريين . . ثم انتقل إلي صقلية حيث قابل ديونيسوس . . ملك سيراكوسا المستبد . . علي أمل أن يجعل من هذه المدينة دولة تحكمها الفلسفة . . لكنها كانت تجربة فاشلة . . سرعان ما دفعته إلي العودة إلي أثينا . . حيث أسس . . في حدائق أكاديموس . . مدرسته التي باتت تُعرف بأكاديمية أفلاطون . . لكن هذا لم يمنعه من معاودة الكرة مرات أخري لتأسيس مدينته في سيراكوسا في ظل حكم مليكها الجديد دينونيسوس الشاب . . ففشل أيضًا في محاولاته . . الأمر الذي أقنعه بالاستقرار نهائيًا في أثينا حيث أنهى حياته محاطًا بتلاميذه .

(٢) من كتاب الروح ومظاهرها في خلال التاريخ لبونمير .

من الإسهاب لأنه لما كان غرضنا من هذا البحث هو التدليل على وجودها رأينا أن نسرع في الولوج إلى باب هذا البحث أولى من إضاعة وقت القارئ فيما لا يهمه كثيراً من هذه الوجهة .

مذاهب الفلاسفة اليونانيين القدماء في الروح وأدلهم على بقائها:

الفلسفة اليونانية على جلالة قدرها لم تخرج عن كونها كلاماً في كلام لا تفي بحاجة المدارك العصرية التي تتطلب الأدلة الحسية ولكن من الضروري الإلمام بتلك الأقوال والبراهين الكلامية تكميلاً لسلسلة التاريخ الخاص بالروح وإننا سنلم بها عجل كما هو الواجب وكما هي رغبة القارئ فيما نعتقد .

عد الروح بعض فلاسفة اليونان بخاراً واعتبرها آخرون حرارة . . وتخيلها قوم منهم أثيراً أما الفيلسوف طاليس المتوفى سنة (٥٤٨) ق .م فقد عدها أصل الحركة .

أما أشياع الفيلسوف فيثاغورس المتوفى في القرن السادس ق .م فقد قالوا أنها وحدة قائمة بذاتها وعدد يتحرك بحركة ذاتية وأنها الإدراك .

أما أفلاطون فقد رأى أن هنالك روحين إحداهما الروح العاقلة وهي الخالدة ومسكنها الدماغ . . والأخرى غير خالدة ولا عاقلة وهي قسمان غضبية ومستقرها الصدر . . وشهوية ومكانها البطن .

أما أرسطو فقد حدد الروح بأنها الأصل والصورة الأولى لجسم طبيعي متمتع بحياة بالقوة . وعد ثلاث صنوف من الأرواح منبثة في مجموع الجسد : وهي الروح الغاذية . . والروح الحاسة أو الحيوانية والروح العاقلة .

فلما جاء الفيلسوف الإسلامي ابن رشد[1] المتوفى سنة (٥٩٥) هجرية ارتضى هذا التقسيم المثلث وبقى مذهبه شائعاً تحت أسماء متعددة إلى أن نبغ باكون الفيلسوف في القرن السابع عشر .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي . . وكنيته أبو الوليد «الحفيد» . . عاش بين عامي (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) . . ويعد ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام . . وُلد في قرطبة بالأندلس لأسرة =

فأعرض عن إحدى هذه الأرواح الثلاث وهي الغاذية وأبقى الحاسة والعاقلة .

فلما ظهر الفيلسوف الفرنسي ديكارت[1] المتوفى سنة (١٦٥٠م) حذف الروح الحاسة ولم يبق إلا الروح العاقلة واهتم بتمييز الروح عن الجسم وتحديد خصائص كل منهما . فاعتبر

= عرفت بالعلم والجاه وانتماءها للمذهب المالكى . . فجده أبو الوليد محمد (توفي ١١٢٦) كان كبير قضاة قرطبة تحت حكم المرابطين . . وشغل والده ذات المنصب حتي مجيء الموحدين . . ويعد ابن رشد في حقيقة الأمر ظاهرة علمية متعددة التخصصات . . فهو فقيه مالكي . . وقاضي القضاة في زمانه . . وهو ذاته طبيب تفوق علي أساتذته . . حتي قيل عنه أنه أعظم طبيب بعد جالينوس . . اتسمت فلسفته الخاصة بالعقلانية الشديدة . . كماترجم أعمال أرسطو . . وألف في علم الفلك . . وهو نفسه المتكلم الذي تصدى لنقد المتكلمين باسم توافق المعقول والمنقول . . وعلى رأسهم الإمام الغزالي . . وكما كان نحويًا لغويًا . . كان كذلك محدثًابارعًا يحفظ شعر المتنبي . . وكان إلي جانب كل هذا متواضعاً . . جم الأدب . . راسخ العقيدة . . دافع عن الفلسفة وصحح لعلماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا . . والفارابي . . درس الكلام . . والفقه . . والشعر . . والطب والرياضيات والفلك والفلسفة . . أقبل علي تفسير آثار أرسطو . . تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف . . وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن طفيل . . ثم عاد إلى قرطبة حيث تولي منصب قاضي القضاة . . وبعد ذلك بنحو عشر سنوات التحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص . . لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد (أبو يوسف يعقوب المنصور ١١٨٤ ـ ١١٩٨) عن الفلاسفة . . فضلاً عن دسائس الأعداء والحاقدين . . جعل المنصور يتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى «أليسانه» . . وهي بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود . . ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية . . وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة . . ما عدا الطب والفلك والحساب . . وبعد أن أكلت النيران عصارة فكر ابن رشد عاد الخليفة فرضي عنه . . وألحقه ببلاطه . . ولكن توفي كلاهما في عام واحد وهو عام١٩١٨ للميلاد في مراكش .

(١) رينيه ديكارت rené Descartes ويعرف أيضا بكارتيسيوس Caresius . . هو فيلسوف فرنسي . . ورياضي ومؤسس الرياضات الحديثة . . وعالم شهير . . يُعتبر من مؤسسى الفلسفة الحديثة . . عاش في الفترة من (٣١ مارس ١٥٩٦ ـ ١١ فبراير ١٦٥٠م) . . ويعتبر أهم وأغزر العلماء نتاجًا في العصور الحديثة . . فالكثير من الأفكار . . ونظريات الفلسفة الغربية اللاحقة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درست وتدرّس من أيامه إلي أيامنا . . لذلك يعتبر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين . . وأحد مفاتيح فهمنا للثورة العلمية والحضارة الحديثة في وقتنا هذا . . يعارض ديكارت الكثير من أفكار من سبقه من فلاسفة . .

أما في الإلهيات فهو يدافع عن الحرية المطلقة لفعل الله أثناء الخلق . . أسهم في الشك المنهجي استهدف في شكه الوصول إلي اليقين . . وأسباب الشك لديه أنه يلزم أن نضع موضع الشك جميع الأشياء بقدر الإمكان . . ويبرر الشك أنه تلقي كثيرًا من الآراء الباطلة وحسبها صحيحة . . فكل ما بناه منذ ذلك الحين من مبادئ علي هذا القدر من قلة الوثوق لايكون إلامشكوكًا فيها أشهر أقواله الخالدة (بالفرنسية : Je penes, donc je suis) بالعربية : «أنا أفكر إذًا أنا موجود» . . والتي ذكرت في كتاب مبادئ الفلسفة «Les prin-cipes de la philosophie» الذي صدر عام ١٦٤٤ باللغة اللاتينية . . تمكن ديكارت من «إثبات وجود الله من خلال أنه إنسان غير كامل لأنه يشك . . وبما أنه غير كامل . . فهو لا يستطيع أن يأتي بفكرة الكامل . . لأن الكامل لا يستنتج من الناقص . . فهناك مسبب واحد لفكرة الله بعقله هو الله نفسه أن أن الله هو من وضع فكرة الله بعقله .

ديكارت الروح جوهراً أخص صفاته الفكر الذي هو أصل كل رأى واعتبر الجسم جوهراً أخص صفاته الامتداد ومن أحواله الصورة والحركة . وذهب إلى أن هذين الجوهرية متميزين عن بعضهما تمام التميز الأول لا يتصور فيه إمكان التجزؤ والانقسام وعدم التجانس في أجزائه . . بخلاف الجوهر الثاني فإنه يقبل الانقسام والتجزئ . والتغير بطبيعته .

قال ولما كانت الروح شيئاً والجسد شيئاً آخر فلا يتصور أن تتبع الروح حال الجسم ولا مصيره . وعليه فيفنى الجسم والروح باقية .

احتاج أشياع هذا المذهب للبحث عن واسطة يصح أن توجد بين الروح والجسد لتصلهما أحدهما بالآخر فإنهما لما كانا من طبيعتين مختلفتين كل الاختلاف فيصعب أن يتحدا أحدهما بالآخر على النحو الذي نرى عليه الإنسان الحي بدون أن يكون بين الجسد والروح اتصال بواسطة شئ ثالث فارتأوا ثلاثة آراء . . فذهب الفيلسوف مالبرنش المتوفى سنة (١٧١٥) إلى أنه لا يوجد بين الروح والجسد أدنى اتصال غير أن حركة كل منهما خلقت مقابلة للأخرى بدون أن يكون أحدهما سبباً في حركة الآخر فإما أن يكون الخالق يحرك الأجساد بواسطة النواميس التي يحكم بها انفعالات الروح . . وإما أن يثير في الروح من الانفعالات ما تقابل به حركات الأجساد .

ولكن الفيلسوف لبنز المتوفى سنة (١٧١٦) خالف مالبرنش وذهب مذهباً آخر فقال إن الروح والجسد متميزين أحدهما عن الآخر وقال إن انفعال أحدهما للآخر ليس من باب تأثير أحدهما على الآخر ولكن الخالق خلق الروح والجسد على شاكلة واحدة بحيث أن كل حركة وسكون في أحدهما يقابله نظير له في الآخر . . مثلهما في ذلك كساعتين تملأن وتداران في وقت واحد فتتوافقان في جميع حركاتهما وسكناتهما . . وآلامهما متميزة لا تعلق لبعضها ببعض .

ولكن الفيلسوف (كودوورث) رأى رأياً ثالثاً . . فقال إن بين الروح والجسد شيئاً ليس بروح ولا بجسد ولكنه مشترك بنيهما وظيفته أن يجمع بين الروح والجسد :أن يجعل أحدهما يقبل تأثيرات الآخر .

أما الفيلسوف باسكال الفرنسي فقال إن وجه اتحاد الجسم بالروح ليس من الأمور الممكن إدراكه لأن الإنسان وهو أعجب المخلوقات لم يستطع أن يدرك ما هو الجسم . ولم يستطع أن يدرك ما هي الروح فلن يستطيع أن يدرك وجه اتصال أحدهما بالآخر .

يرى القارئ معنا أن هذه الأقاويل التي كانت رائجة في القرن الثامن عشر لا تطغى غلة باحث في عصرنا هذا فما هي إلا أقوالاً ليس لها شاهد يؤيدها من الحس ويكفيك دليلاً على وهنها اختلاف الفلاسفة فيها وكل شئ يختلف عليه ويمكن الأخذ والرد فيه لا يصح أن يتخذ عقيدة في مثل عصرنا الحاضر الذي يتطلب البرهان المحسوس . وإنما نحن نورد هذه الأقوال لنعطي قارئنا صورة مصغرة من تاريخ الكلام في الروح والتدليل على وجودها .

أصل الروح

مسألة أصل الروح من المسائل الهامة التي استدعت مناقشات كثيرة . وقد رؤى فيها ثلاث آراء : الرأي الأول وجودها قبل وجود الجسم . الرأي الثاني وجود الروح في صلب الأب على شكل جرثومة . . والرأي الثالث وجود روح جديدة لكل جسم جديد .

أشياع الرأي الأول هم فيثاغورس وأفلاطون وأوريجين من الفلاسفة القدماء وجان رينود من الفلاسفة المحدثين وهؤلاء يرون أن هذه الحياة الدنيا هي تالية حياة سابقة حييتها الأرواح قبل تقمصها هذه الأجساد . وذلك أن الأرواح اندفعت بقوة لا تعارض إلى أن تختار كل منها الجسد الذي يليق بها على حسب أعمالها في العالم السابق .

قال المسيو جان رينود : يجب أن تكون هناك مناسبة سابقة بين الأبوين وبين الابن الذي يرزقانه . ويوجد نواميس طبيعية تسوقنا بقواها إلى أسراتنا بينما تكون أسراتنا ذاتها تجذبنا إليها جذباً .

أما الرأي الثاني وهو وجود الأرواح على هيئة جراثيم في الأصلاب فهو رأي الفلاسفة تيرتوليان ولوتير ولبنز .

أما الرأي الثالث وهو وجود روح جديدة لكل جسم يخلق فهو رأي جمهور المتكلمين من المسيحيين .

ما هي دائرة نفوذ الروح:

نشأت مسألة أخرى من نتائج مذهب ديكارت المتقدم وهو : ما هي الأعمال التي تنسب للروح والأعمال التي تنسب للجسد في الكائن المسمى إنساناً؟ .

يذهب الفيلسوف (ستاهل) مؤسس المذهب الفلسفي المسمى (أنيميسم) إلى أن الروح هي أصل الحياة والحس والعقل وقال إن حركة الإنسان العقلية والمعنوية التي تكون شخصيته تتفق مع قوته الحيوية التي تعمل أعمالها بدون شعور منا بها والجميع مظاهر للروح وآثار لها .

ولكن الفيلسوف (بيبرلوروكس) قال إن الذاكرة ربما كانت من عمل الجسم .

والفيلسوف (بين دوبيران) و (بورداس ديولان) قالا إن عمل الروح هو العلم والعقل والإرادة وأما الحس والتصور فهما عمل الجسم مثلهما مثل الهضم والإفرازات .

براهين هذه الطبقة من الفلاسفة:

يؤسس فلاسفة هذا المذهب مسألة خلود الروح على صفة الروح الطبيعية في عدم قبولها للانحلال . فيقولون : الموت عبارة عن انحلال أجزاء الجسم المركب الحافظ لتركيبه بالأصل المسمى (حياة) ولما كانت الروح ليست بجسم وهي بسيطة غير مركبة فلا يتصور أن يعتريها الانحلال وعليه فهي لا تموت .

هذا غاية ما يمكن أن يقدمه الروحيون من هذه الطبقة من الأدلة بين يدي مسألة خلود الروح وهو بعينه البرهان الذي إقامة فلاسفة اليونان والرومان والعرب مع شئ من التلاعب بالألفاظ . وهو كما ترى لا يفي بحاجة العقل العصري الذي يريد أن يرى أو يلمس ما يعتقده فهو لا يكفيه أن تقول له بأن ذلك الشيء موجود حتى تقول له وقد رأيته بعيني رأسي ولمسته بيدي أو ذقته بفمي وقد فتح الله للناس براهين محسوسة من قبيل ما تصبوا إليه أنفسهم وتخضع له أعناقهم .

اعتراضات الفلاسفة الماديين على هذا المذهب:

يقول الفلاسفة الماديون أن الروح عبارة عن مجموع ظواهر الشعور والعقل والإرادة . . والفكر ليس هو في حقيقته إلا وظيفة عضوية مثلها كمثل جميع الوظائف البدنية الأخرى .

قال المسيو غابانيس الفيلسوف الفرنسي : لأجل أن يوجد الإنسان له فكرة صحيحة عن الأعمال التي ينتج منها الفكر يجب اعتبار المخ عضوا من الأعضاء وظيفته الخاصة إنتاج

الأفكار كما أن وظيفة المعدة والأمعاء إحداث الهضم ووظيفة الكبد إفراز الصفراء . . ووظيفة الغدد النكفية والفكية والتي تحت اللسان إفراز اللعاب وكيفية إحداث المخ للأفكار هو أن التأثيرات تتوارد إلى المخ فتدخله في العمل كما تنزل الأغذية إلى المعدة فتهيجها إلى زيادة إفراز العصارة المعدية وإلى إحداث الحركات التي تسهل تحليلها .

وقال الأستاذ بخنز الطبيعي الألماني : "الفكر نتيجة جميع القوى المجتمعة في المخ . وهذه النتيجة لا يمكن أن ترى بالعين وما هي كما تدل عليه الظواهر إلا اثر الكهربائية العصبية" .

هذا ما اعترض به الماديون على من ذهب أن للروح وجوداً مستقلاً عن وظائف الجسم ونحن مع اعترافنا بإفلاس البراهين العقلية والمنطقية عن إثبات ما ذهب إليه الفلاسفة المثبتون نقول بأن الفلسفة المادية ليست بأقل إفلاساً في موضوع البرهنة على نفي الروح .

فإن قول المسيو غابانيس بأن المخ عضو كسائر الأعضاء وظيفته الخاصة إنتاج الأفكار يعتبر غاية في قصر النظر وفساد القياس . ذلك لأن الهضم وإفراز الصفراء واللعاب ليس من نوع الفكر والنظر العقلي والاستحسان والاستهجان والحب والبغض والنقد الخ الخ من الأعمال المعنوية فالهضم علم مادي محض يشبه أعمال الطبيعة ذاتها كالإنبات والتعفين والتبخير ولكن الفكر عمل معنوي غاية في السمو ناهيك أنه يحيط بالكون المحسوس ويوسعه بحثاً وتنقيباً وانتقاداً فأين هو من عمل المعدة والأمعاء؟ .

إنا نعجب غاية العجب لا من إنكار الماديين للروح وذهابهم غير مذهب الروحيين بل لإيرادهم أمثال هذه الآراء الفارغة واعتبارها من القياسات الفلسفية الجديرة بالاحترام . إذا وقف هؤلاء الماديون موقف العجز فقالوا إنا لا نصدق بوجود شئ إلا إذا رأيناه وأحسسنا به ولم نر الروح ولم نحس بها فلا نعتقد وجودها . هذا كان أولى بهم بدل التخبط في حمأة القياسات الباطلة بالبداهة . ولكن يظهر انه يعز عليهم الظهور بمظهر العجز فوقعوا فيما هو دون العجز شناعة وسوء أثر .

قال الأستاذ بخنز أن الفكر هو نتيجة جميع القوى المجتمعة في المخ وهذه النتيجة لا يمكن أن ترى بالعين وما هي كما تدل عليه الظواهر إلا أثر الكهربائية العصبية . يقول الطبيعي بخنز هذا القول ولا يدري أنه أوجب لحيرة العقل من عقيدة الروح التي ينكرها .

إنه يقول أن الفكر هو نتيجة جميع القوى المجتمعة في المخ ولم يقل لنا ما هي تلك القوى المجتمعة . ولا ما هو الدليل على أنه نتيجتها .

ثم إنه ذكر الكهربائية العصبية وهي من المعميات التي يحار فيها العقل . . ويضل فيها الفكر . فما هي الكهربائية في ذاتها؟ وما هي حدود سلطانها؟ وما هي طبيعتها ثم ما هي الكهربائية العصبية المقيدة بهذا الوصف؟ .

اللهم إن كان الغرض مقابلة ألفاظ بألفاظ فقد أدى الماديون ما عليهم قبل الروحيين . . وإن كان الغرض أعلا من ذلك وهو دحض ما ذهب إليه خصومهم فاللهم إنهم لم يبلغوا ما قصدوا إليه . . فإن مقارعة مجهول بأدخل منه في المجهولية لا يعتبر من باب المناظرة الحاسمة . . ولو دام الحال على هذا المنوال بين هؤلاء الخصوم فلا يعدم أحدهم كلاماً .

براهين المذهب المادي التي يقيمها أشياعه تدليلاً على أن الروح ليست إلا وظيفة بسيطة للتركيب الجسمي مستقاة كلها من علم وظائف الأعضاء . يقول هذا العلم أن الإدراك في الإنسان يكبر على نسبة كبر المخ وشكله وتركيبه الكيماوي . فالحيوانات التي ليس لها مخ أو التي لها مخ ولكن على حالة ساذجة هي من الإدراك في أحس الدركات والطفل تكون لفائف المخ لديه غير واضحة ولا تبلغ نهاية وضوحها إلا متى بلغ وعلى قدر زيادة وضوحها يكون مقدار حركته الإدراكية . وشوهد أن وزن المخ ينقص ويزيد على قدر حالة الاختلال العقلي . وقد تقرر أن البلاهة نتيجة تشوه المخ . وقد كان يجمع الأطباء على أن الجنون نتيجة فساد في المادة المخية وشوهد أن المجهودات العقلية تزيد جوهر المخ وتنميه كما تزيد المجهودات الجسمية العضلات وتنميها سواءً بسواء .

ردود المثبتين للروح على هذه الشبهات:

يقول المثبتون للروح في ردهم على هذه الشبهات أن المخ في الحياة الحالية شرط ضروري لإنتاج الأفكار ولكن لا يصح أن يقال أنه هو نفسه المنتج لها .

ويقولون أن هنالك أحوالاً عقلية لا يمكن أن تتفق مع شبهات الماديين منها وحدة الشخصية الإنسانية التي مظاهرها في الإنسان التعقل والذاكرة والشعور بالمسئولية الذاتية ولك هذه المظاهر

تقتضي رباطاً مستمراً بين أنانية الشخص الحالية والماضية . فهذا الرباط المستمر . . والشعور بالذات بلا واسطة في وضوحه وغلبته لا يمكن تعليله بالعلل المادية المحضة .

ونحن نقول لهؤلاء الماديين أن ثبوت كون المخ هو سبب الإدراك لا يدل على أن المخ هو المدرك في الحقيقة بل الأولى أن يقال أنه آلة الإدراك كما أن العين آلة للإبصار وما قدمه الماديون من الشبهات على هذا الاعتقاد لا يقوى على دحضه . فإن قولهم : إن الإدراك في الإنسان يكبر على نسبة كبر المخ وكمال شكله وتركيبه الكيماوي هو على حد قولنا الإبصار في الإنسان يقوى علي نسبة صحة عينه وسلامة أجزائها من العوارض وكمال شكلها وتركيبها الكيماوي . والسمع فيه يكمل على نسبة كمال أجزاء أذنه . . ودقة تركيبها الخ ولكن ليس المبصر هو العين ولا السامع هو الأذن في الحقيقة . فقد تكون العين سليمة من كل عاهة ومفتوحة ولكن لاشتغال الإنسان بفزع شديد أو ألم مفرط لا يبصر من أمامه وهو يحدق إليه . وقد يكون في تلك الحالة فيصبح به أقرب الناس منه فلا يسمع له صياحاً . فإذا كان المبصر هي العين والسامع هي الأذن لما حدث ما نقوله .

يمكن هنا أن يقول قائل إن عدم الرؤية وعدم السمع حدثا من انصراف الإنسان عن تمييز المبصرات والمسموعات لاشتغال المخ بالألم أو الفزع . . وهو إيراد واهي الدعائم فإن الذي شأنه أن ينصرف من شئ إلى شئ فيقف قواه على أمر دون آخر لا يعقل أن يكون مادياً محضاً . فقد عهدنا الآلات المادية لا تنصرف إلى شئ دون شئ إلا إذا حال بين أحدهما وبينهما حائل مادي . كالمرآة لا يعقل أن تنصرف إلى رسم شخص دون شخص مادام ليس بين أحدهما وبينها حجاب كثيف . . وإذا كان المخ كما يقول مادة محضة مثله كمثل آلة الساعة أو عدة الآلة البخارية فمن الجنون أن تعزو لها الانصراف إلى ألم أو فزع . إذ التألم والفزع أمور معنوية محضة وربما كانت وهمية فلا هي من نوع خواص المادة . . ولا من نوع خواص الحركة فإن كان يخجلك أن تقول فزع الوابور فخرج عن القضيب . . أو تألمت الساعة فضللتني عن الوقت . . كان أولى لك أن تخجل من ادعاء تألم المخ أو فزعه وهو في نظرك مادة محضة .

ثم نقول : إن المخ معروف التركيب والمواد الداخلة فيه كلها معروفة الخواص فكيف يعقل أن يتألف من المواد الجامدة العادمة للإدراك جوهر حي مدرك لا حد لتصوراته ولا نهاية لمدركاته؟ .

لعل معترضاً يقول : ها هي الحيوانات حية مدركة فهل تستنتجون من حياتها وإدراكها أن لها أرواحاً خالدة؟ .

نقول إما أن لها أرواحاً فنعم . وإما خلود أرواحها فلم يقل به أحد نحن حكمنا لها بأرواح لأن مجرد النظر العقلي في أحوالها يدل على ذلك . فإن الإنسان مهما أخذت منه أصول فلسفته فلا يبلغ به الجمود إلى حد معه يسوي بين الحجر الصلد الملقى وسط الفلاة وبين الشجرة النامية بجانبه التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وبين العصفور ذي الأصابع المعجبة الذي يطير عليها من فنن إلى فنن . فالنباتات حية بروح مدبرة ولكنها حياة دنيئة لا يصحبها حس ولا شعور . . والحيوان حي بروح أيضاً ولكنها حياة محدودة القوى لا يصحبها نظر عالٍ . . ولا مدارك بعيدة المدى . فهي حياة مجرد النظر إليها يدل على أنها محدودة البقاء كما أنها محدودة الصفات . والإنسان حي بروح مدبرة ولكنها ليست من طراز روح الحيوان لأن تلك قابلة للترقي إلى ما لا نهاية وهذه وقفة من حياتها في حد معلوم . فإننا إن حكمنا لروح الإنسان بالخلود فإنما أسسنا هذا الحكم على الفارق الجسيم الموجود بينهما وبين روح الحيوان وهو عين الفارق بين المتناهي وغير المتناهي . . وشتان بينهما .

هذا ما يمكن أن يقال بالنظر للفارق الجسيم بين حياة النباتات وحياة الحيوانات وبين حياة الإنسان ولكن كل ما قدمنا لم يخرج عن الكلام ويمكن معارضته بمثله وهو لا يبل غلة الباحث العصري الذي يتطلب البرهان المحسوس وإنما أتينا به من باب إعطاء كل طبقة من طبقات المباحث حقها من الأدلة . . وقد رأيت أن المثبتين للروح لهم الرجحان على المنكرين لها في كل مجال وان كانت براهينهم لا ترضي عقول أهل العصر الحالي . ما هؤلاء فسنوفي لهم المقام في البحث الأخير الذي نخصه بالبراهين الحسية وبالله التوفيق .

آراء طائفة الفلاسفة الروحيين في الروح وخلودها:

هذه الطائفة تسمى (سبيريتوا ليست) من أقدم الطوائف الفلسفية وأكثرها أنصاراً إلى اليوم ولأجل أن نعرف مركزها من بين الفلسفات المختلفة نقول : حل الإنسان مسألة الوجود بحلين أن للروح حلين متناقضين أحدهما الحل الخيالي ومؤداه أن لا وجود إلا للروح أما المادة فهي خيال ليس له حقيقة . والثاني الحل المادي وفحواه إنكار الروح بتاتاً واثبات المادة وحدها . والمذهب

الروحي جاء وسطاً بين هذين المذهبين المتناقضين فأثبت لكل من المادة والروح وجوداً ولم يتطرف إلى إنكار أحدهما . . وجعل لله وجوداً فوق هذين الوجودين .

سقراط أقدم الفلاسفة الروحيين حصر الفلسفة في دراسة الإنسان فكان مذهبه الحكمة المأثورة عنه "أعرف نفسك" فإلى أي نتيجة يتأدى البحث في النفس؟ لاشك إلى مشاهدة حالين . أحدهما مصحوب بالإدراك والآخر بدونه . . فتعزو الحال الأولى إلى قوى تسميها الروح وتعزو الحال الثانية إلى الجسم وهذا هو مؤدي الفلسفة الروحية أو الاسبيريتواليسم[(١)] .

أما أفلاطون فلا يؤخذ من أقواله نص صريح على أنه خيالي أو مادي محض فمن قرأ بعض كتبه ظنه خيالياً بحتاً ومن قرأ البعض الآخر ظنه روحياً .

أما أرسطو فكان روحياً بلا شبهة فقد ثبت من كلامه بنص لا يحتمل التأويل أن العالم عالمان مادي وروحاني . ويمكن أن نلخص علم أرسطوا فيما وراء الطبيعة في كلمات قليلة وهي : إن العالم موجود والله موجود وأن لكل منهما جوهراً وشخصية خاصة به . . يستطيع أن يعيش متميزاً عن الآخر . . ومع هذا فالعالم متعلق بالله ولكن لا تعلق مخلوق بخالق . وأن الله هو الخير المحض والمرجع النهائي . وهو يحرك العالم بقوته ولكن لا بدفعه دفعاً بل بجذبه جذباً وهو يقوده ويحييه .

ومن رجال الفلسفة الحديثة يجب عد ديكارت في مقدمة الروحيين وقد ذكرنا مذهبه فيما تقدم فلا وجه لإعادته هنا وقد ظهر خيالنا في موطن وروحانياً في موطن آخر .

وكذلك الفيلسوف لبنز فإن من كتاباته ما يشير إلى أنه خيالي ومنها ما يشير إلى أنه روحي .

أما القرن الثامن عشر فقل عدد الفلاسفة الروحيين ماعدا الفيلسوف (لوك) وتلميذه الفرنسي (كوندياك) .

أما في ألمانيا فكان القرن الثامن عشر ليس بعصر الروحيين من الفلاسفة .

ولا يعتبر (كانت) فيلسوفاً روحياً لأنه ليس له مذهب خاص في هذه المسألة وكل ما كتبه عبارة عن انتقادات فلسفية ويظهر من كتابه المسمى (انتقادات العقل البحت) أنه بعيد عن مذهب الروحيين كل البعد بل إنه قد دحض أصولهم دحضاً لا يرجى لها قام بعده .

---

(1) Spititualislm.

ولما جاء الفيلسوف (فيشت) تلميذ (كانت) فاق أستاذه بعداً عن مذهب الروحيين . ولم يكن تلميذاه (شلنج) و(هيجيل) أقلا منه شدة على الروحيين .

مذاهب فردية في الروح:

بعد أن ألممنا بمذاهب الطوائف الفلسفية يحسن بنا أن نلم بشيء من المذاهب الفردية من ذلك ما نقلته دائرة معارف (لاروس) عن الفيلسوف (ويس) أنه قال الخلود لا تناله إلا روح استطاعت أن تستنبط من صميمها روحاً ترفعها عن حضيض المادة وحب الذات إذا استطاع الإنسان أن يبلغ هذه الحال بالمجاهدة والصبر أمكنه أن يعيش في حظيرة القدس بين الأرواح العالية التي تقدمت وإن لم يستطع بلوغ هذه الحال النقية بل عاش معيشة حيوانية فلا ينال الخلود بل ينتهي حاله إلى الفساد والتلاشي كما هي حال الشجر والحيوانات سواء بسواء .

أقوال فلاسفة العرب في الروح:

قال العلامة نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن "اعلم أن للعقلاء في حقيقة الإنسان اختلافات كثيرة وإذا كان حال العلم بأقرب الأشياء إلى الإنسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الأبعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك فنقول" :

العلم الضروري حاصل بوجود شئ يشير إليه كل واحد بقوله أنا فذلك المشار إليه إما أن يكون جوهراً مفارقاً أو جسماً هو هذه البنية . . أو جسماً داخلاً فيها . . أو خارجاً عنها . أو عرضاً أما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس . . وزُيّف بأن البدن دائم التغير والتبدل والمشار إليه بأنا واحد من أول العمر إلى أخره وبأن الإنسان غير غافل عن نفسه حينما يكون ذاهلاً عن أجزاء يدنه وبأن النصوص الواردة في القرآن والخبر كقوله عز من قائل :

﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إلى ربك راضيةً مرضية﴾

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً﴾

وكقوله ﷺ :

«أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» .

«القبر إما روضةٌ من رياض الجنة . . أو حفرةٌ من حفر النار» .

وقوله ﷺ في خطبة طويلة :

«حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفرت روحاً فوق النعش ويقول يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي . . جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيري والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بي» .

توجب مغايرة النفس للبدن وبأن جميع فرق الدنيا من أرباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبأن الميت قد يرى في المنام فيخبر عن أمور غائبة وتكون كما أخبر . . وبأن الإنسان قد يقطع عضو من أعضائه ويعلم يقيناً أنه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من أهل الكتاب وليس المسخ إلا تغيير البنية مع بقاء الحقيقة وبأن جبرائيل قد رؤى في صورة دحية وإبليس رؤى في صورة الشيخ النجدي فعلم أن لا عبرة بالبنية وبأن الزاني يزني بفرجه فيضرب على ظهره . . فعلم أن المتلذذ والمتألم شئ آخر . سوى العضوين . . وبأنا نعلم ضرورة أن العالم الفاهم للخطاب إنما هو في ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيئاً من الأعضاء .

أما إن قيل الإنسان جسم هو في داخل البدن . . فاعلم أن أحداً من العقلاء لم يقل بأن الإنسان عبارة عن الأعضاء الكثيفة الصلبة التي غلبت الأرضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال إنه الجسم الذي غلب عليه المائية من الأخلاط الأربعة أعنى الدم بدليل أنه إذا خرج لزم الموت .

ومنهم من قال إنه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذي في القلب أو جزء لا يتجزأ في الدماغ .

ومنهم من يقول اختلطت بهذه الأرواح القلبية والدماغية أجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهي الإنسان .

ومنهم من قال إذا تكون بدن الإنسان وتم استعداده نفذت فيه أجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبديل والتحليل ولا للتفرق والتمزق نفوذاً يشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد وهذا النفوذ هو المراد بقوله (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) ثم إذا تولد في البدن أخلاط غليظة منعت من سريان تلك الأجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت للجوهر .

قال الإمام فخر الدين الرازي : هذا ما ذهب إليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التأمل فيه فإنه شديد المطابقة لما في الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت .

ويقول نظام الدين النيسابوري : أما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في السمسم فمسلم وأما إنه أجرام أو أجسام ففيه نظر . واعلم أنه لم يذهب أحد إلى أن الإنسان جسم خارج عن البدن ولا إلى أنه عرض حال في البدن إلا ما نقل عن الأطباء .

وعن أبى الحسين البصري من المعتزلة أن الإنسان عبارة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف .

ومن شيوخ المعتزلة من قال الإنسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بأعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة .

ومنهم من قال إنه يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه .

والصحيح من المذاهب عند أكثر علماء الإسلام كالشيخ أبي القاسم الراغب الأصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد رضي الله عنه ومن الكرامية جماعة الإلهيين كلهم أن الروح الإنساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه . . ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف . كما أن إله العالم لا تعلق له بالعلم إلا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن بقي البدن معطلاً ميتاً واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الإمام فخر الدين الرازي وهي :

لو كان الإنسان جوهراً متحيزاً لكان كونه متحيزاً عن ذاته المخصوصة إذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء الواحد متحيزاً مرتين ولزم اجتماع المثلين . . وأيضاً لم يكن جعل أحدهما ذاتاً والآخر صفة أولى من العكس .

وأيضاً التحيز الثاني إن كان عن الذات فهو المقصود وإن كان صفة لزم التسلسل وإذا كان التحيز عين ذاته لزم أنه متى عرف ذاته عرف تحيزه . لكنا قد نعرف ذاتنا من الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاث . وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان . وإذا كان اللازم باطلاً فالملزوم منتفياً وعورض بأنه لو كان الإنسان جوهراً مجرداً . . لكان كل من عرف ذاته تجرد وليس كذلك وأجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية .

ومنها أن الشيء الذي يشير إليه كل واحد بقوله أنا واحد بالبديهة ولأن الغضب مثلاً حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي مشروط بالشعور بكون الشيء منافياً . . فالذي يغضب لابد أن يكون هو بعينه مدركاً ولأن اشتغال الناس بالغضب وانصبابه إليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب إليها فعلمنا أنهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد . . إذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن اشتغال أحدهما بفعله مانعاً للآخر . وأيضاً إذا أدركنا شيئاً فقد يكون الإدراك سبباً لحصول الشهوة وقد يكون سبباً للغضب . . فعلمنا أن صاحب الإدراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب .

وأيضاً النفس لا يمكنها أن تتحرك بالإرادة إلا الشعور بخير يرغب في جذبه أو بشر يرغب في دفعه . . وهذا يقتضي أن المتحرك بالإرادة هو بعينه المدرك الخير والشر واللذيذ والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمشتهي والغاضب بواسطة آلات مختلفة وقوى متغايرة وإذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل أثر واحد ولو كانت جزءاً من أجزاء البدن كانت قوية سارية في جميع أجزاء البدن والوجود بخلاف الكل فحصل اليقين أن النفس شئ مغاير لكل البدن ولكل من أجزائه .

ومنها أن الاستقراء يدل على أن أحوال النفس بالضد من أحوال الجسد لأن الجسم إذا قبل شكل التثليث مثلاً امتنع أن يقبل حينئذ شكل التربيع وليس كذلك حال النفس فإن إدراك كل صورة يعينها على إدراك ما عداها ولذلك يزداد الإنسان فهماً وذكاء بازدياد العلوم .

وأيضاً كثرة الأفكار توجب قوة للنفس وتستدعي استيلاء النفس على الدماغ وقد تصير أبدان أرباب الرياضة في غاية النحافة والهزال وتقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون إلى السلاطين وأصحاب الشوكة والقوة .

ومما يختص بهذه الآية التي نحن في تفسيرها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إن الروح لو كان جسماً منتقلاً من حالة إلى حالة لكان مساوياً للبدن في كونه متولداً من أجسام متغيرة من صفة إلى صفة . فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح كان الأنسب أن يقول إنه جسم كان كذا ثم صار كذا كما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الخ والأحاديث الواردة في أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد يؤكد ذلك الرأي الذي ادعينا من أن النفس شئ مغاير للبدن ولأجزائه والله أعلم بحقائق الأمور .

رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في الروح:

للعلامة أبي حامد الغزالي رسالة سماها الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية أتى فيها على رأيه في الروح نقتطف منها ما يأتي : قال حين سئل عن الروح وحققته :

هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كشفه لمن ليس أهلاًله فإن كنت من أهله فاسمع واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في الإناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض . . ولو كان موضوعاً والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض وهذا خلاف المعقول . . ولأن العرض الواحد لا يفيد إلا واحداً فيما قام به . . والروح يفيد حكمين متغايرين فإنه حينما يعرف خالقه يعرف نفسه فدل على أن الروح ليس بعرض والعرض لا يتصف بهذه الصفات ولا هو جسم لأن الجسم قابل للقسمة . . والروح لا ينقسم لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشيء الواحد وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشيء الواحد بعينه فيكون في حالة واحدة عالماً بالشيء جاهلاً به فيتناقض لأنه في كل واحد وإلا فالسواد والبياض في جزءين من الغير غير متناقض والعلم والجل بشيء واحد في شخصين غير محال فدل على أنه واحد وهو باتفاق العقلاء جزءا لا يتجزأ أي شئ لا ينقسم . . إذ لفظ جزء غير لائق به . . لأن الجزء إضافة إلى الكل ولا كل هنا فلا جزء . . إلا أن يزاد به ما يريد القائل بقوله الواحد جزء من العشرة . . فإنك إذا أخذت جميع الأجزاء التي بها قوام العشرة في كونها عشرة كان الواحد من جملتها وكذلك إذا أخذت

جميع الموجودات أو جميع ما به قوام الإنسان في كونه إنساناً كان الروح واحداً من جملتها فإذا فهمت أنه شئ لا ينقسم فلا يخلو إما أن يكون متحيزاً أو غير متحيز . . وباطل أن يكون متحيزاً إذ كل متحيز منقسم والجزء الذي لا يتجزأ باطل أن يكون منقسماً بأدلة هندسية وعقلية . أقربها أنه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلتقي من الوسط غير ما يلقي الآخر فيجوز أن يقوم بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف علم . . وبالوجه الآخر جهل فيكون عالماً جاهلاً في حالة واحدة بشيء واحد وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذي يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه فإن الواحد لا يكون مرئياً وغير مرئي في حالة واحدة ولكانت الشمس إذا حاذت أحد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر . فإذا ثبت أنه لا ينقسم وأنه لا يتجزأ ثبت أنه قائم بنفسه وغير متحيز أصلاً .

فقيل له وما حقيقة هذه الحقيقة وما صفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه؟ فأجاب بقوله :

لا هو داخل ولا هو خارج ولا هو منفصل ولا متصل لأن مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد انتفيا عنه فانفك عن الضدين كما أن الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل لأن مصحح العلم والجهل الحياة فإذا انتفت انتفى الضدان .

فقيل له هل هو في جهة؟ فأجاب بقوله : هو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام والاختصاص بالجهات فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها والروح ليس بجسم ولا عرض في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض .

فقيل له لم منع الرسول عليه السلام عن إفشاء هذا السر وكشف حقيقة الروح بقوله تعالى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فقال : لأن الأفهام لا تحتمله . . لأن الناس قسمان عوام وخواص . . أما من غلب على طبعه العامية . . فهذا لا يقبل ولا يصدقه في حق الروح الإنسانية . . ولهذا أنكرت الكرامية والحنبلية ومن كانت العامية أغلب عليه ذلك وجعلوا الإله جسماً إذ لم يعقلوا موجوداً إلا جسماً مشاراً إليه ومن ترقى عن العامية قليلاً نفى الجسمية وما أطلق أن ينفى عوارض الجسمية فأثبتت الجهة وقد ترقى عن هذه العامية الاشعرية والمعتزلة فاثبتوا موجوداً لا في وجهة .

فقيل له ولم لا يجوز كشف السر مع هؤلاء؟ فأجاب بقوله : لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفات لغير الله تعالى فإذا ذكرت هذا لبعضهم كفروك وقالوا إنك تصف نفسك بما هو صفة الإله على الخصوص فكأنك تدعي الإلهية لنفسك .

فقيل له فلم أحالوا أن تكون هذه الصفة لله ولغير الله تعالى أيضاً؟ فقال : لأنهم قالوا كما يستحيل في ذوات المكان أن يجتمع اثنان في مكان واحد يستحيل أيضاً أن يجتمع اثنان لا في مكان لأنه إنما استحال اجتماع جسمين في مكان واحد . . لأنه لو اجتمعا لم يتميز أحدهما عن الآخر فكذلك لو وجد اثنان كل واحد منهما ليس في مكان فبم يحصل التمييز والعرفان؟ ولهذا أيضاً قالوا لا يجتمع سوادان في محل واحد حتى قيل المثلان يتضادان .

فقيل هذا إشكال قوي فما جوابه؟ فقال : جوابه أنهم أخطأوا حيث ظنوا أن التمييز لا يحصل إلا بالمكان بل يحصل التمييز بثلاثة أمور أحدهما بالمكان كجسمين في مكانين . . والثاني بالزمان كسوادين في جوهر واحد في زمانين . . والثالث بالحد والحقيقة كالأعراض المختلفة في كل واحد مثل اللون والطعم والبرودة والرطوبة في جسم واحد . . فإن المحل لها واحد والزمان واحد . . ولكن هذه معان مختلفة لذوات بحدودها وحقائقها فيتميز اللون عن الطعم بذاته لا بمكان وزمان . . ويتميز العلم عن القدرة والإرادة بذاته وإن كان الجميع شيئاً واحداً . فإذا تصور أعراض مختلفة الحقائق فبأن يتصور أشياء مختلفة الحقائق بذواتها في غير مكان أولى .

فقيل هنا دليل آخر على إحالة ما ذكرتموه أظهر من طلب التفرقة وهو أن هذا تشبيه واثبات لأخص وصف الله تعالى في حق الروح . فقال : هيهات فإن قولنا الإنسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم وأنه تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لأنه ليس ذلك أخص الوصف فكذلك البراءة عن المكان والجهة ليس أخص وصفت الإله بل أخص وصفه أنه قيوم أي هو قائم بذاته . . وكل ما سواه قائم به . . وأنه موجود بذاته لا بغيره فكل ما سواه موجود به لا بذاته بل ليس للأشياء من ذواتها إلا العدم . . وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى ذاتي ليس بمستعار وهذه الحقيقة أعني القيومية ليست إلا لله تعالى : فقيل له ذكرت معنى التسوية

والنفخ والروح ولم تذكر معنى النسبة في الروح وأنه لم قال من روحي ولم نسبه إلى نفسه فإن كان لأن وجوده به فجميع الأشياء أيضاً كذلك وقد نسب البشر إلى الطين فقال ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾ ثم قال ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وإن كان معناه أنه جزء من الله تعالى فاض على القالب كما يفيض المال على السائل فيقول أفضت عليه من مالي فهذه تجزئه لذات الله وقد أبطلتم هذا وذكرتم أن إفاضته ليست بمعنى انفصال جزء منه فقال: هذا كقول الشمس لو نطقت وقالت أفضت على الأرض من نوري فيكون صدقاً ويكون معنى النسبة أن النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وإن كان في غاية الضعف بالإضافة إلى نور الشمس وقد عرفت أن الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة فلذلك خص بالإضافة وهذه النسبة ليست للجسمانيات أصلاً.

فقيل له فما معنى قوله تعالى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وما معنى عالم الأمر وعالم الخلق؟ فقال: كل ما يقع عليه مساحة وتقدير وهو عالم الأجسام وعوارضها يقال أنه من عالم الخلق والخلق هنا بمعنى التقدير لا بمعنى الإيجاد والإحداث. يقال خلق الشيء أي قدره.

فقيل له ما معنى قوله عليه السلام إن الله تعالى خلق آدم على صورته.. وروى على صورة الرحمن فقال: الصورة اسم مشترك قد يطلق على ترتيب الأشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها وهي الصورة المحسوسة وقد يطلق على ترتيب المعاني التي ليست محسوسة.. بل للمعاني ترتيب أيضاً وتركيب وتناسب ويسمى ذلك صورة. فيقال صورة المسألة كذا وكذا وصورة الواقعة وصورة المسألة الحسابية والعقلية كذا. والمراد بالتسوية في هذه الصورة هي الصورة المعنوية.. والإشارة به إلى المضاهاة التي ذكرناها ويرجع ذلك إلى الذات والصفات والأفعال فحقيقة ذات الروح انه قائم بنفسه ليس بعرض ولا بجسم ولا جوهر متحيز ولا يحل المكان والجهة ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا هو منفصل ولا هو داخل في أجسام العالم والبدن ولا هو خارج وهذا كله في حقيقة ذات الله تعالى.

وأما الصفات فقد خلق حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً والله تعالى كذلك.

وأما الأفعال فمبدأ فعل الآدمي إرادة يظهر أثرها في القلب أولاً فيسري منه أثر بواسطة الروح الحيواني الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب فيتصاعد منه إلى الدماغ ثم يسري منه

أثر إلى الأعصاب الخارجة من الدماغ ومن الأعصاب إلى الأوتار والرباطات المتعلقة بالعضل فتنجذب الأوتار فيتحرك بها الأصابع ويتحرك بالأصابع القلم وبالقلم المداد مثلاً فيحدث منه صورة ما يريد كتبه على وجه القرطاس على الوجه المتصور في خزانة التخيل فإنه ما لم يتصور في خياله صورة المكتوب أولاً لا يمكن إحداثه على البياض ثانيا ومن استقرأ أفعال الله تعالى وكيفية إحداثه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تصرف الآدمي في عالمه أعنى بدنه يشبه تصرف الخالق في العالم الأكبر وهو مثله وانكشف له أن نسبة القلب إلى تصرفه نسبة العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي . . والحواس كالملائكة الذين يطيعون الله طبعاً ولا يستطيعون خلافاً . . والأعصاب والأعضاء كالسموات والقدرة في الأصابع كالطبيعة المسخرة المركوزة في الأجسام . والقرطاس والقلم والمداد كالعناصر التي هي أمهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والتفرقة ومرآة التخيل كاللوح المحفوظ فمن اطلع بالحقيقة على هذه الموازنة عرف معنى قوله عليه السلام إن الله تعالى خلق آدم على صورته ومعرفة ترتيب أفعال الله تعالى معرفة غامضة يحتاج فيها إلى تحصيل علوم كثيرة وما ذكرناه إشارة إلى جملة منها .

قيل له فما معنى قوله عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربه قال : لأن الأشياء تعرف بالأمثلة المناسبة ولولا المضاهاة المذكورة لم يقدر الإنسان على الترقي من معرفة نفسه إلى معرفة الخالق فلولا أن الله تعالى جمع في الآدمي ما هو مثال جملة العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من العالم وكأنه رب في عالمه متصرف لما عرف العالم والتصرف والربوبية والعقل والقدرة والعلم وسائر الصفات الإلهية فصارت النفس بمضاهاتها وموازناتها مرقاة إلى معرفة خالق النفس وفي استكمال المعرفة بالمسئلة التي قبل هذه ما يكشف الغطاء عن وجه هذه المسئلة . انتهى ما أوردناه من أجوبة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

برهان الإمام أبي القاسم الحسين ابن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني في إثبات المعاد :

قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) ما يأتي :

لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة إلا جماعة من الطبيعيين أهملوا أفكارهم . . وجهلوا أقدارهم . . وشغلهم عن التفكر في مبدأهم ومنشأهم . شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات

المذكورة في قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وأما من كان سوياً ولم يمش مكباً على وجهه لكونه ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ وتأمل أجزاء العالم علم أن أفضلها ذوات الأرواح ذوو الإرادة والاختيار في هذا العالم . . وأفضل ذوي الإرادة والاختيار الناظر في العواقب وهو الإنسان فيعلم أن النظر في العواقب من خاصية الإنسان وأنه لم يجعل تعالى هذه الخاصية له إلا لأمر جعله له في العقبى ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصباً وهماً وحزناً ولا يكون بعده حال مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالاً من الإنسان فيقتضي أن تكون هذه الحكم الإلهية والبدائع الربانية التي أظهرها الله تعالى في الإنسان عبثاً كما نبه الله عليه بقوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ فإن أحكام بنية الإنسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سوى ما تشاركه فيه البهائم من الأكل والشرب والسفاد مع ما يشوبه من التعب الذي قد أغنى عنه الحيوانان سفه ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً﴾ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وما أظهر عند من ألقى عن مناكبه دثار العماية صدق أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله . . (الدنيا دار ممر لا دار مقر . . فاعبروها ولا تعمروها . . وقد خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار حتى يستقر بكم القرار) .

وكثر من الجهال اغتروا بقوم وصفوا بوفور العقل في أمور الدنيا حيث أنكروا أمر الآخرة فقالوا لو كان ذلك حقاً لم ينكره أمثالهم مع وفور عقولهم وكثرة فهمهم ولم يعلموا أن العقل وإن كان جوهراً شريفاً فإنه لا يتوجه إلا حيث وُجِّه . ولا غناء له إلا حيث صرف . فإذا صرف إلى أمور الآخرة أحكمها وإذا صرف إلى أمور الدنيا قبلها وعكف عليها وأخل بما سواها فتقصر بصيرته حينئذ عن الأمور الأخروية كما نبه الله عليه في غير موضع من كتابه وقد تقدم القول فيه .

أعلم أن الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح للبدن هو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلى النعيم الأبدي وهو انتقال من دار إلى دار . كما روى أنكم خلقتم للأبد لكنكم تنقلون من دار

إلى دار حتى يستقر بكم القرار . فهو وإن كان في الظاهر فناء واضمحلالاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية .

التنويم المغناطيسي:

إن النوم المغناطيسي عالم المحسوسة المادية التي تنطبق على علم وظائف الأعضاء (الفزيولوجيا) ولا تجافيه . . أشياء أخرى فوق الطبيعة لم يستطع أحد تعليلها للآن ولا تنطبق على أي قانون تشريحي[1] .

ويقول العلامة (بيو) في كتابه المخاطبات على المغناطيس الحيوي : "التنويم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى لم تزل مكتسية بالمادة" .

التنويم المغناطيسي لم يعرف له قدره الحقيقي إلا لما وفق الطبيب الإنجليزي (جمس بريد) سنة ١٨٤٠م إلى إظهاره والسير فيه سيراً علمياً . من هنا صار التنويم الصناعي عضد الطب ومعوانه في المعاضل التي تقصر عن حلها وسائله العلاجية قال الأستاذ (بلز) في كتابه الطب الطبيعي في مجلده الأول صحيفة (٧٤٢) : لما نشر بريد كتابه على التنويم الصناعي لم يأبه له الطب الرسمي ولم يعتد به . وما لفتنا إلى مزاياه الطبية إلا الطبيبان الفرنسيان (اذام) من بوردوو (ليبولت) من ننسي وعلى الخصوص هذا الأخير فإنه بتجاربه العديدة كان أول من ظن انكان الاستفادة منه طبياً وبرهن علمياً على إمكان التأثير على المرضى بهذا التنويم من جهة التلقين وإحداث آثار جليلة ضد الأمراض فقابل الناس هذه المزاعم أولاً بالسخرية ثم باضطهاد ثم عورضت وطوردت بتعصب ذميم ثم انتهى بها الأمر إلى أن أخذت مكاناً علياً من العلوم الطبية وألقت على مسائل الروح الإنسانية نوراً ساطعاً بعد أن كان الناس عن تلك المسائل في غياهب العماية والجهل . التنويم الصناعي له درجات عديدة وللمغرمين به من بحاثي أوروبا مباحث شتى غريبة . ففي أول درجة يتذكر فيها الإنسان اسمه ويكون مالكاً لجزء . . من حريته ثم يترقى نومه فيقع تحت تصرف إرادة منومه يوجهه كيف يشاء فتراه يقتنع بكل ما يوهمه به اقتناعاً تاماً فلو أوهمه مثلاً أنه ملك عظيم أخذ في الحال شكل العظمة والأبهة وأعطى نفسه جميع سمات الملوك في الكلام والحركات والعكس بالعكس .

---

(١) انظر كتاب المذهب الروحي أمام العلم لجبريل دولان .

روت مجلة المجلات الفرنساوية سنة ١٨٩٦ أن رجلاً أنام زلجياً وأوهمه أنه ذئب صار فانبعث فيه صفات الذئب وهام على وجهه في الأسواق فقتل ثمانية أشخاص وحاول أكل لحومهم . الخلاصة أن المنوم يكون تحت سلطان منومه فيريه ويسمعه أشباحاً وأصواتاً لا وجود لها ويجعله يحس بما لا حقيقة له إلا في مخيلته حتى لو لمس جهة من جسمه وقال له إن ههنا بثرة . . تكونت البثرة في الحال وصارت كأنها تكونت في أيام .

في النوم الصناعي يظهر الجسد بمظهر عجيب جداً وهو عدم التأثر بقوانين الفزيولوجيا مطلقاً . منها فقد النائم كل إحساس مهما كانت خطورته فيمكن تقطيع جسده إرباً إرباً بدون أن يتألم ولا أن يستيقظ . قال (ج . دولن) في كتابه المذهب الروحي أمام العلم : "أن النوشادر المركز إذا اشممته للمنوم لا يحدث لديه أقل تأثير مع أن هذا المحلول إذا شمه الإنسان في الحالة الاعتيادية يسبب له الموت . وإذا تلاشت خاصية الحس في المنوم فليست خاصية السمع أقل تلاشياً منها فإن أعظم حركة أو صوت لا يؤثر على عصبه السمعي كأنه وقع في شلل عام وقد أطلقت عيارات نارية بجانب فتحة أذنه فلم يتأثر بها أدنى تأثر . ولكن هذه الحالة لا يتمتع بها المنوم إلا بالنسبة تغير منومه لأن هذا بمجرد تحريك شفتيه بصوت خافت يمكنه أن يفهم المنوم ما يريده من بعد يستحيل على غيره أن يسمع منه شيئاً بل وأن يرى تحرك شفتيه" .

اشتغل الطبيبان الشهيران (مارج) و(اسكرول) بهذه المسئلة في مستشفى (سلبيتريير) في فرنسا واثبتا عدم حسن المنومين بطريقة مدهشة على رؤوس الإشهاد . من تجاربهما أنهما أتيا بأربع أوقيات من محلول النوشادر المركز وأشماه للمنوم بضعة دقائق متوالية وجربا ذلك جملة مرار فلم يشاهدا أدنى أثر من ضجر أو ألم عنده . فشك أحد الأطباء المنكرين في وجود محلول النوشادر المركز فشمه هو نفسه فمات لوقته . هذه المشاهدات ليست مقتصرة على عدم الحس بل على أمور أخرى هامة كالأخبار بالمغيبات ورؤية الأشياء البعيدة والنفوذ إلى ضمائر الحضور والبعيدين بما لا يكاد يصدقه الإنسان لولا أنه من المشاهدات المحسوسة الثابتة بالتواتر العلمي وقد أثبت بها العلماء المشتغلون بهذا الفن وجود الروح بالأدلة المحسوسة روى الأستاذ (اكزاكوف) الروسي أن امرأة الأستاذ الإنجليزي (دو مرجان) اعتادت تنويم امرأة وإرسال روحها

إلى المحل الذي تعينه لها . فقالت يوماً وهي نائمة : "اذهبي إلى منزلي الذي كنت اسكنه قديماً" فقالت النائمة "قد فعلت وطرقت الباب بشدة" . فقالت امرأة الأستاذ فذهبت بنفسي في اليوم التالي لأتأكد من صدقها في تلك المسألة وسألت عما حصل في تلك اللحظة فأجابني السكان بأنهم سمعوا طرقاً شديداً على الباب فذهبوا فلم يجدوا أحداً فعلموا أن ذلك فعل أشقياء الأطفال . يقول اكزا كوف عن هذه الحادثة وأمثالها أنها تثبت بطريقة لا تقبل الشك أن للروح وجوداً متميزاً عن المادة وأنها تستطيع أن تعمل ما يعن لها بنفسها .

واستشهد أيضاً بهذه الحادثة الغريبة وهي أن (لويس) المنوم المشهور أنام امرأة مرة أمام جماعة وأمرها بأن تذهب إلى بيتها فتنظر ماذا يعمل أهلها . فقالت المنومة ذهبت فوجدت فيه شخصين يشتغلان بأشغال منزلية فقال (لويس) المسي إحداهما بيدك عند ذلك أخذت المنومة تضحك قائلة قد لمست إحداهما كما أمرتني فخافتا خوفاً شديداً . فسأل (لويس) الحاضرين عما إذا كان فيهم من يعلم بيت المرأة فأجاب بعضهم بالإيجاب فرجاهم أن يذهبوا إلى بيتها ليتأكدوا مما حصل . فذهبوا وعادوا مؤكدين بأن ما قالته النائمة صحيح . وذلك أنهم وجدوا أهل ذلك المنزل في غاية الهرج من شدة الخوف وبسؤالهم عن السبب أجابوا بأنهم رأوا شبحاً في المطبخ يمشي ثم جاء فلمس إحدى اللتين كانتا فيه .

يرى القارئ من مجموع ما مر أن الإنسان ليس بمادة صرفة بل إن فيه سراً روحانياً متميزاً عن مادته وهو حقيقته الكريمة . . ولولا ذلك لما شوهدت منه وهو في حالة النوم المغناطيسي عند تعطل حواسه ومشاعره تلك الحوادث الروحية المدهشة .

نعم لو كان الإنسان مادة محضة لما أمكن أن تنشأ منه أمثال الحوادث التي أظهرتها تجارب الكولونيل دوروشاس من تقديم الذاكرة وقهقرتها وإخراج قوته الحيوية الخ وإذا كان من كتاب العربية من يتجارى على القول بأن جميع هذه الظواهر يمكن تعليلها بقوانين المادة فإن أمثال الأساتذة شاركو وبيو وغيرهم من أعلام الطب الرسمي يخالفونهم في ذلك ويؤكدون بأن من تلك الظواهر ما لا يمكن تعليله بعلم وظائف الأعضاء ولولا ضيق المقام لأتينا على ألوف من مشاهدات تؤيد هذه الحقائق .

إثبات الروح بمذهب استحضار الأرواح:

قد أجهز هذا المذهب على المذهب المادي وأتم تفويض دولته . . ونسف صروحه وتذريتها في ذيول السافيات . وإنا موردون عن هذا المذهب كلمة موجزة .

يقول أشياع هذا المذهب أن الحد الفاصل بين الأحياء والأموات ليس على ما يظنه الناس من الخطورة فإن الموت ليس في ذاته إلا انتقالاً من حال مادي جسدي إلى حال مادي آخر ولكن أرق منه وألطف بكثير فإنهم يعتقدون أن للروح جسماً مادياً شفافاً لطيفاً ألطف من هذه المادة بكثير ولذلك لا تسري عليه قوانينها ويقولون أن الموتى بعد الموت مباشرة يكونون في عالمنا هذا بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ولا يزالون كذلك مدة تختلف باختلاف درجتهم الروحية ثم ينتقلون إلى حال أرقى من هذا وإن كانوا لا يبرحون هذا العالم فإن العوالم في نظرهم اختلاف حالات ومقامات لا اختلاف جهات ومكانات . ويقولون أن الروح وهي على حالها الأول بعد خروجها من الجسد يمكن مكالمتها بل ورؤيتها متجسدة بواسطة شخص يكون فيه الاستعداد لأن يقع في خدر عام عند إرادته تحضير الروح فتستفيد الروح من استعداده فتكلم الناس بفمه بلغات يجهلها كل الجهل وتنبئ عن أمور للحاضرين من أقاربها وخاصتها لا يدري الواسطة منها شيئاً بل وتكشف من أسرار العلم والفلسفة والرياضيات العويصة ما يجهله الواسطة والسامع ولا يدركه على سطح الأرض إلا نفر يسير . وقد تستولي على يده وتكتب وعينه مغمضة صحفاً ورسائل وقد تظهر بجسم مادي محسوس بينما يكون الواسطة ملقى أمام المجرمين مكتوفاً على كرسيه . وسبب ربطه هكذا أن الذين يبحثون في هذه الأمور المدهشة من العلماء ملحدون ماديون لا يعتقدون بشيء ولأجل أن يثقوا من صدق مشاهداتهم التي تهدم لهم كل مقررات فلسفتهم لا يرضون في حالة تجسد الروح إلا أن تكون الغرفة مغلقة والفرش مفتشة والواسطة مربوطاً على كرسيه بأربطة متينة مسمرة أطرافها بالأرض ولا يكتفون بذلك أيضاً بل منهم من وضعه في قفص حديدي ووضع كرسيه على سطح مائي وأوصل بيده سلكاً كهربائياً متصلاً بجلفانومتر ليسجل عليه كل حركة وكل نفس . . ولم يكتف بذلك بل أرصد له من يراقبه من إخوانه العلماء . . ورغما عن ذلك كله تظهر الروح مجسمة . . تبتدئ أولاً بشكل سحابة منيرة ثم تأخذ في التشكل شيئاً فشيئاً حتى تصير شكل إنسان منير ثم تتكاثف

حتى تصير دماً ولحماً وعظما أمام أعينهم فتقف أمامهم وتطوف حولهم عالية بقدميها عن الأرض قليلاً لابسة هيئة عربية بدوية متمثلة بشراً سوياً ولكن شوهد أن جسمها يكون لينا لدرجة أن الإنسان لو ضغط يدها بين إصبعيه تنبعج يدها بينهما حتى يتلاقيا كأنها عجين ذو قوام متماسك ولكن شوهد أن لها نبضاً وقلباً وتنفساً وكل ما للجسم الحي . فلما تسأل من أين لها هذا الجسد تقول استعارته من جسم الواسطة . وفي الواقع إذا وزنت الواسطة وجد أن جسمها قد نقص وزنه . . وقد شوهد أن الجزء الأسفل من الواسطة تلاشى بالمرة وصار لا وجود له فلما ذهبت الروح عاد إليه .

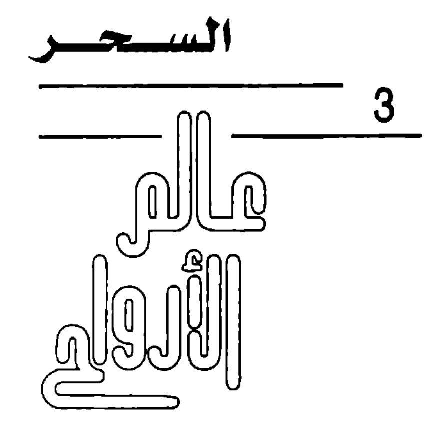
ويقول الأستاذ (متزجر) السويسري في كتابه المسمى (الاسبرتزم العلمي) :

مذهب استحضار الأرواح يثبت وجود الروح ويكاد يجعلك تلمسها بأصابعك ولقد أصبحت مسألة خلود الجزء المعنوي من الإنسان مما لا يمكن الجدل فيه لبداهتها كما أنه قد انسدت تلك المهواة السحيقة القرار التي كانت تفصل الأحياء عمن كان يقال عنهم ميتون .

هذه حقائق جديدة في الواقع ونفس الأمر . . ولكن ما أجل فوائدها وأعظم عوائدها . فإن هيئاتنا الاجتماعية في هبوط مستمر ولقد أصبح الناس يتساءلون بقلوب يملأها الأسف والأسى عما ستؤول إليه حالة مدنيتنا المتنازعة من كل جانب والتي افترسها مذهب الماديين المجتاح للفضائل الذي بقتله فيها عواطف الجري وراء الكمال . . وبمحوه أنوار مستقبلها يدفع الإنسان لغشيان كل ما يطوف بفكره من الملاذ الجسدانية بدون المبالاة بوسائل الحصول عليه .

بعد هذا كله ألا يكون إقامة الأدلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح وبيان أننا لا محالة بمجزيون عل جميع أفعالنا وأفكارنا هو أنجع العلاجات لهذا الجنون الكثير الأشكال؟ هذا هو تأثير الاسبرتزم وسيكون تأثيره دائماً كذلك فيما نرى .

■ ■ ■


السحر
3
عالم الأرواح

لا يستطيع الباحث أن يصل إلى أصول السحر أو بداياته فهو في غاية القدم . . ولقد كان السحر موجوداً في كل زمان وفي كل مكان . ولا تخلوا أمة من الأمم من وجود السحر والسحرة بها مهما اختلف حظها من التقدم والرقي .

ويذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن جميع فنون السحر تقوم أساساً على المعتقدات الدينية . . بينما يرى البعض الآخر أن السحر أقدم من كل المعتقدات في الآلهة والأرباب وأن بعض الظواهر الدينية البدائية تفصح عن أنها قد نشأت عن السحر .

والسحر عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع .

وأنكر البعض أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شئ عن حقيقته وتسخير شئ من خلق الله إلا نظير الذي يقدر عليه سائر بني آدم أو إنشاء شئ من الأجسام سوى الخدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها .

وقالوا لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب الحقائق عما هي به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فضل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها . . وفي ذلك وصف الله عز وجل سحرة فرعون بقوله :﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ . وقد يتساءل الناس وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه؟ إن ذلك يحدث بسبب تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته . . فتفريق الساحر بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحد منهما الشخص الآخر على خلاف ما هو

به حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويعرض عنه حتى يحدث الفراق فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة ما بينهما .

تعريف السحر:

السحر في اللغة هو عبارة عمى خفي ولطف سببه . . ومنه سمي السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل . . كما ثبت من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحراً) . . لما في البيان من قدرة من يتصف به على إخفاء الحقائق .

قال ابن منظور : (قال الأزهري السحر عمل تُقُرِّب فيه إلى الشيطان . . وبمعونة منه . . كلّ ذلك الأمر كينونَة للسِّحر . . ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى . . وليس الأصل على ما يرى . . والسحر الأخذة . . وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر . . وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره . . فكأن الساحر ذ لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته ذ قد سحر الشيء عن وجهه . . أي صرفه)[1] .

قال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ذ رحمه الله - : (قال " أبو علي اللؤلؤي " بلغني عن أبي عبيد أنه قال " وإن من البيان لسحراً " كأن المعنى : أن يبلغ من بيانه : أن يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله . . ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر . . فكأنه سحر السامعين بذلك)[2] .

وتعود معاني السحر اللغوية إلى الخفاء واللُّطافة . . وإلى الخداع والتمويه . . وإلى التلهية . . والتعليل وإلى الصرف والاستمالة . . ومن هذه المعاني اللغوية عرف السحر في الاصطلاح) .

وشرعــــاً:

هو عزائم . . ورُقى . . وعُقد تؤثر في القلوب والأبدان . . فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه . . قال تعالى : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[3] وقد أمر الله

---

(١) لسان العرب ـ مادة «سحر» ص ٤/ ٣٤٨ .

(٢) (صحيح سنن أبى داود ـ / ٩٤٥) .

(٣) (سورة البقرة ـ جزء من الآية ١٠٢) .

بالتعوذ من السحر وأهله . . فقال جل شأنه : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[1] . . وهن السواحر اللواتي ينفخن في عقد السحر . . والسحر له حقيقة . . ولذا أمرنا بالتعوذ منه . . وظهرت آثاره على المسحورين . . قال تعالى : ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[2] . . فوصفه بالعظم . . ولو لم تكن له حقيقة لم يوصف بهذا الوصف . . وهذا لا يمنع أنْ يكون من السحر ما هو خيال . . كما قال سبحانه عن سحرة فرعون : ﴿ . . يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3] . . أي : يخيل لموسى أن الحبال تسعى كالحيات من قوة ما صنعوه من السحر .

السحر قسمان:

وعليه فالسحر قسمان سحر حقيقي وسحر خيالي . . وهذا لا يعني أن الساحر قادر على تغيير حقائق الأشياء . . فهو لا يقدر على جعل الإنسان قرداً . . أو القرد بقرة مثلاً . . والساحر ليس هو ولا سحره مؤثرين بذاتهما . . ولكن يؤثر السحر إذا تعلق بما يفعله إذن الله القدري الكوني . . وأما إذن الله الشرعي فلا يتعلق به البتة . . لأن السحر مما حرمه الله . . ولم يأذن به شرعاً . . قال تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .

تعريف المذاهب الإسلامية للسحر

تعريف الشافعية للسحر :

عرف الشافعية السحر بأنه : (مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة)[4] .

تعريف الحنابلة للسحر :

عرف الحنابلة السحر بأنه : (عقد ورقى . . وكلام يُتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له)[5] .

---

(١) (سورة الفلق ـ الآية ٤) .
(٢) (سورة الأعراف ـ جزء من الآية ١١٦) .
(٣) سورة طه ـ جزء من الآية ٦٦ .
(٤) مغني المحتاج للعلامة الشربيني الخطيب ـ ٤/ ١٢ . . حاشية الشرقاوي علي التحرير للعلامة الشرقاوي ـ ٢/ ٣٨٥ .
(٥) كشاف القنا لفقيه الحنابلة البهوتي ـ ٦/ ١٨٦ . . المغني لأبي محمد عبدالله بن قدامة ـ ٨ ـ ١٥ .

تعريف الحنيفية للسحر:

عرف الحنيفية السحر بأنه : (السحر : هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية)

تعريف المالكية للسحر:

وقد عرف المالكية السحر كتعريف الحنيفية الأخير مع تغيير يسير في بعض الألفاظ مع اتحاد المعنى في كل منهما . . وقال عنه بعض المالكية : (منه ما يكون خارقاً للعوائد ومنه ما لا يكون كذلك)(١) .

وبعض المالكية يصرحون بأن السحر جنس يدخل تحته ثلاثة أنواع هي :

النوع الأول (السيمياء):

وهو عبارة عما يركب من خواص أرضية . . كدهن خاص أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب تخييلات خاصة وإدراك الحواس الخمس أو بعضاً منها لحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات .

وقد يكون لذلك وجود حقيقي يخلق الله تلك الأشياء عند تلك المحاولات . . وقد لا تكون له حقيقة بل تخيل .

وقد يستولي ذلك على الأوهام ويسلب الفكر الصحيح بالكلية وتصير أحوال الإنسان مع تلك المحاولات كحالات النائم من غير فرق . . ويختص ذلك كله بمن عمل له السحر . . أما من لم يعمل له فلا يجد شيئاً من ذلك إطلاقاً .

النوع الثاني "الهيمياء":

وهي كالسيمياء تماماً إلا أنها تمتاز عن السيمياء أن ما تقدم من المحاولات يضاف ذ عند الهيمياء ذ للآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال الأفلاك فيحدث جميع ما تقدم ذكره .

---

(١) حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير ـ ٤/ ٢ ، ٣ . . الفروق للقرافي المالكي ـ ٤/ ١٣٧ .

النوع الثالث: بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها..

ومثل ذلك : يأخذ سبع من الحجارة ثم يرجم بها نوعاً معيناً من الكلاب . . وشأن هؤلاء الكلاب أنه إذا رمى بهذه السبع عضها كلها ثم يلقطها الرامي بعد ذلك ويطرحها في ماء فمن شرب منه ظهرت عليه آثار عجيبة خاصة نص عليها السحرة[١] .

وقد قالوا في هذا كلاماً كثيراً من حيث التأثير .

تعريف السحر في رأي بعض علماء الإسلام:

قال فخر الدين الرازي : (السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته . . ويجري مجرى التمويه والخداع)[٢] .

قال ابن قدامة : (هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه . . ليعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له . . وله حقيقة فمنه ما يقتل . . وما يمرض . . وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها . . ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه . . وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين)[٣] .

قال الحافظ بن حجر : (السحر : هو صرف الشيء عن وجهه . .)

قال القسطلاني : أمر خارق للعادة . . صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته . . وهو بتأثيره نوع من الأمراض . . كما قال القرطبي : الحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر . . وفي الأبدان بالألم والسقم)[٤] .

قال الجصاص : (السحر هو كلّ أمر خفي سببه . . وتخيل على غير حقيقته . . وجرى مجرى التمويه والخداع)[٥] .

---

(١) الفروق للإمام شهاب الدين أبى العباس حمد بن إدريس الصهاجى المشهور «بالقرافي» ـ ٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .
(٢) (المصباح المنير ـ ص ٢٦٨) .
(٣) (المغني ـ ١٠/ ١٠٤) .
(٤) (إرشاد الساري ـ ٨/ ٤٠١) .
(٥) (أحكام القرآن ـ ١/ ٥١) .

قال ابن العربي : (حقيقته أنه كلام مؤلف يعظّم به غير الله تعالى . . وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات)[1] .

قال صديق بن حسن القنّوجي : (" علم السحر " : هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأشياء خفية قاله في كشاف اصطلاحات الفنون)[2] .

وأجمع العلماء على أن السحر هو : (ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يقدر عليه الإنسان)[3] .

قال ابن خلدون في مقدمته : (هو علم بكيفية الاستعدادات تقتدر النفوس البشرية به على التأثير في عالم العناصر . . إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية . . والأول هو السحر . . والثاني هو الطلسمات)[4] .

قال الشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي : (اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع . . لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته . . ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها . . ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدّه اختلافاً متبايناً)[5] .

اتجاهات ثلاثة:

وبعد استقراء ما قاله علماء الشريعة في تعريفهم للسحر نجدهم أنهم لا يخرجون عن اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : أن السحر خارق للعادة ويكتسب بالتعلم والتعليم .

الاتجاه الثاني : أن السحر يشبه الخارق للعادة وليس بخارق لها على وجه الحقيقة .

الاتجاه الثالث : أن السحر عبارة عن حيل وتخاييل وتمويهات وخداع .

---

(١) الفواكه الدواني ـ ٢/ ٢ . .) .
(٢) (أبجد العلوم ـ ٢/ ٣١٨) .
(٣) (نقلاً عن «حكم الإسلام في السحر ومشتقاته» ـ ص ١٧)
(٤) (نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين ـ لمحمد فريد وجدي ـ ٥/ ٥٥) .
(٥) (أضواء البيان) .

وهنا يتضح لنا أن من قال بأن السحر كله خيالات فهو على غير صواب ومن قال بأنه سحر حقيقي بمعاونة الشياطين أوغيرهم مطلقاً فهو أيضاً على غير صواب .

وإذن يكون الصواب أن بعضه سحر حقيقي . . وهو الذي تعتريه جميع الأحكام الشرعية الخاصة بالسحر . . وبعضه الآخر شعوذة . . وهي ما نسميه مجازاً بالسحر وهي خدع وتمويهات لا حقيقة لها في الواقع . . ولا تعود بالضرر إلا على مستخدمها نفسه في بعض الأحيان . . كالحاوي الذي يستخدم في حيله وخداعه مواد كيمائية وهو جاهل بمؤثراتها واستخدامها العلمي . . لأنه ربما وقع في خطأ في الاستعمال نتج عنه ضرره . . لأن مادة الكيمياء تلعب دوراً كبيراً وخطيراً ومفيداً في نفس الوقت في كثير من أوجه النشاط الإنساني)[١] .

كما يمكننا القول أن السحر هو عبارة عن أمور دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعلم تشبه الخارق للعادة وليس فيها تحد . . أو تجري مجرى التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة تؤثر في عالم العناصر بغير مباشرة أو بمباشرة . . وهو عمل يقوم به شخص معين تتوافر فيه شروط معينة تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة وبطرق سرية غامضة . . وذلك للتأثير على شخص أو جملة أشخاص رغم إرادتهم لتحقيق غرض معين له أو موصى به .

عقـــاب السَـحَرَة:

كان الناس خلال العصور الوسطى وحتى نهاية القرن السابع عشر يتعقبون السحرة في كل مكان ويعملون على قتلهم واستئصال شأفتهم بل وكانوا إلى ما بعد هذا القرن السابع عشر يتعقبون هؤلاء السحرة في ألمانيا وإسبانيا وإيطاليا . إذ كان الناس ينسبون كل الكوارث التي تحل بالأفراد وبالبلاد إلى عمل هؤلاء السحرة فهم يعدونهم من الكفرة أعداء الإنسانية الذين ينتظرهم أشد العقاب في العالم الآخر .

وتذهب الروايات إلى أن الشياطين أنفسهم كانوا يمسكون بالسحرة الذين انتهت فترة السماح الممنوحة لهم لمزاولة أعمالهم السحرية ويحملونهم إلى جهنم حيث المكان المعد لتعذيب كل واحد منهم .

---

(١) السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي ـ ص ٣٧ ـ ٣٨ .

على أن الناس في تلك العصور لم يكونوا ليقتنعوا بهذا العقاب الذي ينتظر السحرة في نار جهنم إنما كانوا يحبون أن ينتقموا بأنفسهم من هؤلاء السحرة جزاء وفاقاً لما قاموا به من أعمال قصدوا بها إلحاق الضرر بالناس دون رحمة أو شفقة لذلك كانوا يقبضون على هؤلاء السحرة ويقدمونهم إلى المحاكم التي تقدمهم بدورها إلى آلات التعذيب التي تنتهي غالباً بقتلهم شر قتلة .

وكان الناس من ناحية أخرى يواظبون ويثابرون على تعقب السحرة وقتلهم إطاعة لما جاء في الكتاب المقدس : "لا تدع ساحرة تعيش"[1] . . ومن المؤكد أن العقوبات التي كانت تفرضها القوانين الأوربية المتقدمة على السحرة كانت أهون بكثير من العقوبات المنصوص عنها في الشريعة الموسوية . إذ كثيراً ما كانت تفرض الغرامات المالية على من يتهم بالسحر . ونجد أيضاً أن المجامع الدينية مثل مجمع لوديسيا الذي عقد في عام ٢٦٣ للميلاد وكذلك مجمع برخمستد الذي عقد عام ٦٩٧ كانت تقنع في أحكامها بإخراج الساحرة أو الساحر من حظيرة الكنسية المسيحية أو فرض غرامة مالية عليه . كذلك لم يغال القضاة المدنيون في العصور الوسطى في الحكم على هؤلاء السحرة دون سبب معقول . ففي عام ١٣٠٣ أتهم جيشار أحد الأساقفة بأنه ولد جان من الجن وأنه كان يستدعيه كلما رغب في ذلك فكان جزاؤه السجن ثم رد اعتباره فيما بعد .

ولم تشتد العقوبات التي كان يحكم بها على السحرة إلا ابتداء من القرن الخامس عشر إذ كانت من القسوة والشدة بحيث تقشعر منها الأبدان وخاصة في فرنسا وإسبانيا . فقد كان ذلك القرن هو عهد اضطهاد وتعذيب السحرة بالمعنى الصحيح . ففي الوقت الذي كانت فيه تقنع السلطات البرتغالية بنفي السحرة إلى خارج البلاد كانت فرنسا وخاصة في مقاطعة أرتوا تعذب السحرة بمنتهى الشدة والقسوة إذا كانوا يستجوبون ويعذبون وتوضع النيران تحت أقدامهم أو يجبرون على ابتلاع الزيت المغلي .

وكانت المحاكم ـ أصلاً ـ تتكون من لجان من المحققين . . إلا أنه عند الاستجواب كان هناك جانب واحد لتوجيه الأسئلة . . وكان الهجوم الذي يوجه إلى المتهمة عنيفاً وقاسياً . وكان هناك

(١) سفر الخروج . . الإصحاح الثاني والعشرين . . العدد ١٨ .

إجماع فيما بين القضاة أنفسهم على أن الساحرة مذنبة إذا لم يظهر ما يدل على براءتها . ولم تكن هناك أية فرصة لكي تثبت الساحرة براءتها . وكان كل من القائم بالاتهام والقاضي يجري التحقيق ولم يسمح بوجود أي دفاع . . بل كان كل من يحاول القيام بالدفاع عن الساحرات يتهم بالخروج عن الدين . . ويعتبر هو الآخر مذنباً ويتعرض للمحاكمة! وكان التعذيب واحداً من أهم الوسائل في هذه التحقيقات . . حيث صدق البابا "انوسنت الرابع "Innocent IV على استخدام التعذيب عام ١٢٥٧ في مرسوم بابوي حاز على القبول من قبل البابوات التاليين بعده . ولم يلغ هذا المرسوم بشكل رسمي إلا عام ١٨١٦ بمرسوم آخر صادر من الفاتيكان .

كان المحققون يبحثون عن الاعترافات خلال فترات التعذيب . ولكن الاعترافات- في الحقيقة- لم تكن ضرورية . . فإن أي شهادة ملفقة كانت تكفي كدليل على الإدانة لإعدام إحدى الساحرات . . وكان المحققون يشجعون الذين يقومون بإبلاغ السلطات عن الساحرات . . ووصل الأمر لدرجة أن الشك واللغو كافيان لتوجيه الاتهام . ويحكي "هوب روبنز" إذا أنت ألقيت بعض الماء في الهواء سوف ينظر إليك على أنك ساحر تحاول إثارة الرياح! وليس ذلك فقط . . فكان الأشخاص المشوهون أو قبيحو المنظر أو السيدات الطاعنات في السن محلاً للشك والريبة . . إلا أنه بعد ذلك انتقل الشك إلى الفتيات الجميلات بحجة أنهن فاتنات .

وقد ذهب التدليل على الاتهام إلى أبعد من ذلك . . كان وجود حيوان أليف في منزل إحداهن سبباً لإدانتها بأنها ساحرة وكانت هذه توثق بالحبال وهي عارية تماماً فوق كرسي في حجرة خالية . . ويقوم مضطهدوها بالنظر من خلال ثوب . . ليروا ما إذا كان شيطانها سيأتي إليها في صورة حيوان أم لا . فإذا ما تصادف دخول عنكبوت أو خنفساء أو فأر إلى المكان . . تأكد المحققون أنها ساحرة وجب أن يحاكموها .

وقد توقفت هذه المحاكمات فترة من الزمن حتى لكأن الناس في تلك الفترة كانوا على جانب كبير من التسامح وسعة الأفق . ثم جاء القرنان السادس عشر والسابع عشر وفيهما استؤنف اضطهاد السحرة وتعذيبهم من جديد .

ونذكر من بين القضاة الذين عاملوا هؤلاء السحرة بمنتهى القسوة والوحشية هنري بوجيه قاضي قضاة كونتية برجاندي . فقد نشر هذا القاضي في عام ١٦٠٣ كتاباً عن السحرة وما

يجب على القاضي أن يتبعه من التعليمات عند محاكمته للسحرة . وهو يذكر في هذا الكتاب بصراحة متناهية أعمال القسوة التي قام بها في محاكماته للسحرة . وقد أخذ البرلمان الفرنسي لمدة طويلة بهذه التعليمات التي ذكرها هذا القاضي . وقد شعرت أسرته بعد وفاته بالخجل لما قام به هذا القاضي من أعمال تتنافى والإنسانية . لذلك أعدمت جميع نسخ هذا الكتاب التي أمكنها الحصول عليها .

ولا يقل عنه شهرة في هذا الميدان القاضي مارتن دل ريو أحد قضاة مجلس الدم الذي أنشأه دوق ألفا لمطاردة السحرة في بلاد القلاندرز .

وهناك آخرون من غير القضاة نشروا عدة كتب خاصة بأنواع العقوبات التي يجب إنزالها بالسحرة والمشعوذين . . كما قام بعض رجال الدين من المسيحيين بنشر الرسائل الخاصة بهذا الموضوع ذاته .

وفي إنجلترا قام الملك هنري الثامن والملكة اليصابات باضطهاد السحرة وتعذيبهم بمنتهى العنف والقسوة . ولا ننس في هذا المقام الملك جيمس الأول الذي كتب بخط يده رسالة في اضطهاد السحرة نشرت في هانوفر عام ١٦٠٤ .

وهذه الرسالة عبارة عن نقاش في ثلاثة أجزاء بين شخصيتين وهميتين هما فلماتوس وإبستيمون . ويعتبر هذا الأخير عن آراء الملك جيمس . ويتناول هذا النقاش بالتفصيل كل ما يتصل بالسحرة والشياطين وعلوم الغيب بتعصب شديد . ويتحدث الملك جيمس في هذه الرسالة على لسان إبستيمون عن السحرة بدون رحمة أو شفقة .

الموت فإن هذا هو الإجراء الحكيم تنفيذاً لحكم الله وللقانون المدني والإمبراطوري ولقانون جميع الشعوب المسيحية بصفة خاصة أينما كانت هذه الشعوب .

فلماتوس : ولكن أرجو أن تخبرني عن كيفية إعدامهم كما أوضحت ذلك؟ .

إبستيمون : الموت بلهيب النيران هو ما يجب أن يحل بهم على أن ذلك لا يهم مادام سينفذ فيها حكم الإعدام وفقاً لما تنص عليه القوانين ويقضي به العرف والقواعد المرعية في البلد التي يكونون فيها .

فلماتوس : هل ترى أنه يجب أن تكون هناك بعض الاستثناءات أو ندخل في اعتبارنا مسألة الجنس ذكراً أم أنثى كان ذلك الساحر كبير السن أو صغيراً أو بسبب اختلاف مراكزهم الاجتماعية .

إبستيمون : أرى أنه يجب ألا يكون هناك أي استثناء لأن المفروض أن لا يكون هناك أي اعتبار لمثل هذه الأشياء أمام القاضي . فكل من يرتكب هذا الجرام يجب أن يعاقب وفقاً لسنة الله ولا يستثنى أحد من ذلك .

ولما زاد اضطهاد الناس للسحرة وتفننوا في تعذيبهم والتنكيل بهم في القرن السادس عشر قام عام ١٥٦٩ طبيب مشهور يدعى جان وير[1] بإصدار كتاب نشر في عام دلل فيه على أن كثيراً من الذين يتهمون بالسحر ليسوا سحرة إنما هم مرضى بمختلف الأمراض العصبية فلا يستأهلون هذا العقاب الذي يحل بهم . ولعل تناقص عدد السحرة الذين حوكموا وعذبوا في عهده يرجع إلى هذا الكتاب الذي ترك أثراً عميقاً في نفوس الناس فجعلهم يفكرون ويبحثون طويلاً قبل اتهام شخص بالسحر وإنزال العقاب به . . ولعل أشهر محاكمات السحرة التي تمت في فرنسا خلال القرن السابع عشر محاكمة جود فري أحد القساوسة إذ اتهم بأنه سحر راهبة من الراهبات تدعى "ماجدلين ماندل" فحكم عليه بالحرق حياً عام ١٦١١ وقد اعترف هذا الراهب أثناء المحاكمة أنه قد حضر اجتماعاً من اجتماعات السحرة التي أشرنا إليها سابقاً وكان ذلك جرماً لا يغتفر .

وتحوي سجلات أقاليم فرنسا كثيراً من تلك المحاكمات التي انتهت غالباً بالحكم على المتهم بالموت على أشنع صورة . . وغالباً ما كان الحرق حياً هو العقاب الذي ينتظر الساحر .

وقد أحرق قسيس إيطالي يدعى "بندتو بندا" وكان في الثمانيين من عمره وقد اعترف هذا القسيس بأنه احتفظ في بيته بشيطانة تدعى هرملين طوال أربعين سنة وكان يصطحبها معه أينما ذهب دون أن يراها أحد لأنها كانت غير منظورة . ولعل أصغر السحرة الذين حوكموا هي فتاة صغيرة تدعى "كاترين ناجوي" فقد أحرقت وهي في الحادية عشرة من عمرها لاتهامها

---

(١) ولد عام ١٢١٥ وتوفي عام ١٥٨٨ .

بالسحر . ونحن نعلم جميعاً أن جان دارك محررة فرنسا قد أحرقت هي الأخرى حية لأنها اتهمت بالسحر . وقد بلغت هذه المحاكمات بضع مئات .

وكان هؤلاء السحرة يعذبون بوحشية تقشعر لها الأبدان . ولدينا عن هذه الأحداث وثائق مكتوبة ورسوم مطبوعة تبين لنا الطباع والأعمال الوحشية التي كانت تسود عصر لا يزال غير بعيد عنا . وقد اشتهرت هولندا بصفة خاصة بمحاكمات السحرة وتعذيبهم بأبشع وسائل التعذيب . . ففي امستردام كانت المرأة المتهمة بالسحر تشد شداً محكماً إلى سلم خشبي ثم يدفع اثنان من الجلادين الأقوياء هذا السلم إلى النيران التي تكون قد أعدت لهذا الغرض فتحرق المسكينة حرقاً . وجرت العادة على أن يحضر القاضي تنفيذ الحكم الذي أصدره ويكون التنفيذ غالباً في أحد الميادين حيث يجتمع الناس لمشاهدة هذا المنظر وهم راضون كل الرضا لأنهم على زعمهم قد تخلصوا من ساحرة كانت مصدر شقوتهم وإلحاق الضرر بهم .

وقد خلف لنا كاتب هولندي يدعى إبراهام بالنغ كتاباً نشره في امستردام عام ١٧٢٥ ويحوي أنواع التعذيب التي كانت تحل بالسحرة والعرافين بهولندا . منها التعذيب بالسياط وكان يقوم به عادة صبية صغار لكي يشتد ساعدهم وتغلظ قلوبهم فيصبحوا في يوم من الأيام جلادين للسحرة . وكان هذا النوع من التعذيب هيناً رفيقاً إذا قيس بالتعذيب بواسطة الكلابات المزودة بالأشواك الحديدية .

وكانت هيئة المحكمة تجلس أمام المتهم وتأخذ في استجوابه بينما يقوم الجلادون بالضغط على أطرافه بهذه الكلابات المؤلمة .

وكانت هناك وسيلة التعذيب بواسطة الطوق الحديدي وهو عبارة عن طوق مبطن بالأشواك الحديدية البارزة يطبق على عنق الساحرة فيناله منه أقسى أنواع التعذيب . كما كانوا يعذبون السحرة بوضع أرجلهم فوق لهيب الفحم المتقد .

وكثيراً ما كان المتهم تفيض روحه قبل أن تتم محاكمته لما يلقاه من هذا العذاب فينصرف القضاة إلى شئونهم ويتركون الجثة بين أيدي الجلادين لمتابعة إحراقها أو التنكيل بها وكأن المتهم لا يزال على قيد الحياة .

وجرت العادة في كل من إسبانيا وإيطاليا على أن يرتدي السحرة عند تقديمهم إلى المحاكمة زياً خاصاً عبارة عن مئزر عليه رسوم جن وشياطين يحركون نيران الجحيم ليزداد أوارها .

وتذكر المصادر الخاصة بأخبار السحرة والمشعوذين في العصور الوسطى أن الغالبية الكبرى من السحرة كانت تقطن إقليم بامبرج من أعمال ألمانيا لذلك كان يوجد في هذه المدينة بناء خاص تحاكم السحرة فيه ولم يكن في أوربا كلها بناء آخر أقيم لمثل هذا الغرض . وكان يطلق على هذا البناء اسم "بيت السحرة" وقد شيد هذا البيت في عام ,١٦٢٧ وكان في زمانه يعتبر من أعاجيب فن البناء ولا تزال بعض المتاحف الأوربية تضم الأدوات التي كان يضمها هذا البيت .

وفي القرن السابع عشر قررت السلطات البحث عن علامات الساحرات المميزة لهن دون سائر النساء . . كانت العلامة عبارة عن بروز صغير . . كان المفروض أن الساحرة ترضع منه "أليفها" أما علامات الشيطان فكانت شيئاً آخر . . كالوحمة أو الشامة أو الندبة أو النتوء . . . الخ وكان صائدو الساحرات واثقين من أنها علامات كانت تطبع على أجساد الساحرات الجدد عند إلحاقهن بعضوية الشيطان . وقد انتشرت كثير من القصص القبيحة عن محاكمات الساحرات . . وقصص عن نساء من مختلف الأعمار كن . . يجردن من ملابسهن . . ويعرضن عاريات تماماً بين جمهور غفير . . أو على منصة عالية للبحث في أجسامهن عن علامات تدينهن . . ولما كان من النادر أن تخلو أية سيدة من علامة ما . . فقد اختلط الأمر على القائمين بهذا الفحص . . وسادت موجة جديدة من الفسق والفجور .

وقد تطورت عملية الاختبار إلى وسائل أخرى . . من ذلك ما يسمى بطريقة "الوخز" كان من المعتقد أن الدبوس الذي يغرس في تلك العلامات المميزة على سطح الجلد لا ينزف دماً أو يحدث ألماً . ومن المعروف علمياً ـ الآن ـ أن كثيراً من النقط والعلامات التي بالجلد تكون قليلة الإحساس بالألم- إلى حد ما- كما أن الجلد السليم لا ينزف دماً إذا وخز بإبرة وإنما تقفل المسام المحدثة بمجرد خروج الإبرة . ويمكنك أن تتصور ما حدث نتيجة لهذا التطور في الاختبارات! حيث اتهمت كل من لم ينزف جلدها دماً . . أو لم يبد عليها الألم من الوخز بأنها ساحرة

فأعدمت حرقاً. وغير هؤلاء البريئات . . ممن غلبهن الحياء لذلك العري المفروض عليهن قسراً- وسط جماهير الغرباء- فسيطر الذعر عليهن . . الأمر الذي جعل الدماء تجف في العروق في لحظات تقرير المصير . . وسرعان ما وجهت إليهن الاتهامات ظلماً . . ذلك لأن القائمين على هذه المحاكمات . . كان دليلهم أن التي لا تنزف دماً ساحرة يساعدها الشيطان! .

ولعل أقسى وأفظع من عهدت إليه أعمال اصطياد الساحرات والإشراف على تعذيبهن هو "ماتيو هوبكنز "M.thew Hopkins الذي كان يعمل بالكنيسة البروتستانية الإنجليزية في القرن السابع عشر . كان زعيم الدهماء الذي يعرف كيف ينتزع الاعتراف بسرعة . . كانت طريقته للوصول إلى غرضه إلقاء الأكاذيب ثم الاختبارات القاسية والتعذيب المستمر حتى يحصل على الاعتراف المطلوب . . الذي يقبله القضاة "الأشراف"! وكانت من نتائج نجاحه في هذا الصدد . . أن أرسلته السلطات المحلية ليجوب المدن والقرى مع أتباعه بحثاً عن الساحرات والبريئات على حد سواء . . وكان أن حصل على ثروات طائلة كلما انتقل من بلدة إلى أخرى . وكان يلجأ في تحقيقه إلى وسائل أخرى . كالإغراق في الماء حتى الموت أو الوخز القاسي (لم يكن يستعمل الإبرة أو الدبوس . . وإنما كان يستعين بمبرد مدبب على هيئة آلة تحطيم الثلج) كما استخدم أسلوب التجويع حتى الموت . . والحرمان من النوم . ولم يمض على هذا الداهية عام واحد . . حتى تسلم ناصية القضاء والاتهام والمحاكمة جميعاً . . واستطاع بدهائه أن يقدم إلى المحاكمة ما لم يقدمه القانون خلال مائة وستين عاماً . . إلا أنه- في النهاية- جذب الانتباه إليه عندما تمادى في أسلوبه الرهيب . . وبدأ أولو الأمر يشكون في نزاهته . . بل ظنوا أنه ذو ميول سادية . . فعزل من منصبة الخطير . . بعد أربعة عشر شهراً من المحاكمات القاسية الرهيبة . . وأجبر على التقاعد . . وقد مات بعد عام واحد مصاباً بورم سرطاني خبيث .

وقد شهدت الأعوام التالية تحولاً جذرياً فيما يختص بمحاكمة الساحرات . . فقد رفضت المحاكم الإنجليزية- بشكل عام- إباحة عملية التعذيب . . فكانت تشنق الساحرات بدلاً من حرقهن . . وكان العدد الذي تعرض للمحاكمة في إنكلترا أقل منه في أية دولة أوروبية أخرى . . كما كانت المحاكمات الأمريكية ـ مؤخراً ـ أقل جورا من مثيلاتها في القارة الأوروبية . . التي ساد فيها الرعب خلال تلك الفترة المليئة بالظلم . وإذا ما أردنا الانتقال إلى

الحديث عن عملية اصطياد الساحرات ومحاكماتهن في أميركا . . فلنستند إلى الروايات التي أمكننا الحصول عليها من عدة مصادر شهدت أحداث القرن الخامس عشر :

كان من الممكن اتهام عدد من الناس دفعة واحدة . إلا أنه غالباً ما كان يقبض على شخص واحد . . ثم يجبر على توريط آخرين في ذات الجريمة . وكان كثيراً ما يقبض على الفرد نتيجة إشارة من أحد الشهود . وكان بعض السحرة يرشدون عن منافسيهم ليتخلصوا منهم . . كما كان الاتهام يوجه بشهادة جيران حاقدين . . أو مرشدين مرتشين . . أو بعض من أصيبوا بجنون اصطياد الساحرات . وتطور الأمر لدرجة أن الأزواج اتهموا بعضهم رغبة في الانفصال . . كما اتهم الأطفال آباءهم وأصبحت الحياة الأسرية مهددة بسوء المصير . وفي مدينة "سالم "S.lem" بولاية ماساتشوستس تسببت مجموعة من الفتيات المراهقات الفاجرات في إلقاء التهمة على جماعة من الناس . . وتسبب ذلك في مقتل اثنين وعشرين من الأبرياء . وقد أتاح التهديد بالاتهام الفرصة لبعض اللصوص ومبتزي الأموال وغيرهم . . أن يحصلوا على ما يشاءون من ثراء وأكثر . وعند إلقاء القبض على الساحرة- بريئة كانت أم مذنبة- تساق إلى المحكمة ويتم استجوابها . . وكانت تسأل عمن تألفهم . . وعن العقد الذي بينها وبين الشيطان . . والأنشطة التي تمارسها في اجتماعات "السبت" وأعمال السحر التي تقوم بها . ثم تجبر على الاعتراف بخروجها عن الدين . . والإرشاد عن شركائها . فإذا كان ردها على هذه الأسئلة بالنفي . . قام المحقق بتجريدها من جميع ملابسها بحثاً عن علامات الأجرام . . ثم يعيد عليها مرة أخرى طلب الاعتراف . . فإذا قاومت بدأ تعذيبها للحصول على الاعتراف قسراً .

وفي سكوتلندا- وبقية أجزاء القارة الأوروبية- كانت المراحل الأخيرة من الاستجواب تشمل أفظع أنواع التعذيب التي شهدها الإنسان! ففي "بامبرج" بألمانيا- في القرن السابع عشر- امتلأت سجلات اضطهاد وتعذيب الساحرات بألوان من الجبر على الاعتراف . . فإذا لم تكن الوسائل التقليدية كافية (مثل الجلد بالسياط أو الاطعام قسراً بدون ماء) استخدمت طرق أكثر وحشية . . منها القلاووظ الابهامي (أداة تعذيب يضغط على الإبهام) ومنجلة القدمين . . والمقبض الخشبي المبطن بالمسامير للضغط على اليدين والقدمين . . وإشعال الكبريت المغموس

في الشمع وإلقائه على الجسد العاري . . والإغراق في الماء الحار . . المضاف إليه جير حي وبتر الأطراف والأثداء . . أو سحل الساحرة أو الاستعانة بالحديد المحمي لدرجة الاحمرار ثم كي الجسم به . وقد علق الكاتب الفرنسي "جون بودين John Bodin" على ذلك بقوله : "أن عذاب الآخرة أهون بكثير من هذا العذاب الذي تتعرض له الساحرات!" .

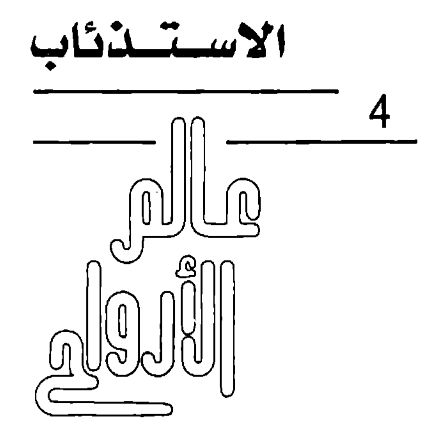
ومن الوثائق التي تثير الشفقة حقاً . . ذلك الخطاب الذي كتبه رجل من سجن "بامبرج" عام ١٦٥٨ إلى ابنته . كتبه قبل أن يشد جسده من أطرافه وهو في حالة لا توصف من الآلام التي سيطرت على كل أقطار جسمه . اقرأ معي ما كتب :

" . . . إليك يا ابنتي كل أعمالي واعترافاتي التي لابد من موتي بسببها . إنني محاصر بالأكاذيب والافتراءات الملفقة . فليساعدني الله . لقد كنت مجبراً على الاعتراف خوفاً من العذاب الذي يفوق احتمالي . انهم لا يتوقفون عن التعذيب الوحشي حتى يعترف الفرد بشيء مهما كان تقياً ورعا صالحاً . . ويجب أن يقرر بأنه ساحر . والله وحده يعلم أنني لا أعلم أي شئ مما يتهمونني به إنني أموت بريئاً وشهيداً" .

وهذا ما حدث مع مئات الأفراد في محاكمات "بامبرج" وحدها . . . كان الإعدام المؤكد مصير كل من دخل قاعة المحكمة . وكان أخر فصول المأساة الحرق . وقد انفردت اسكتلندا بالحكم على الساحرات بالخازوق ثم الحرق ومما لاشك فيه أن وباء صيد الساحرات الذي انتشر في أوروبا قد تسبب في مقتل آلاف من المواطنين . ولن نبالغ إذا قلنا أن عدد هؤلاء قد بلغ خلال القرن السابع عشر وحده ما يقرب من مائتي ألف شخص . وفي ألمانيا- وحدها- مات حوالي مائة ألف على الخازوق أما في فرنسا واسكتلندا فقد أحرقت عشرة آلاف ساحرة كما ذكر في أحد الكتب الصادرة عام ١٩,٣, وقد تسبب "عصر الرعب" في زرع الخوف في قلوب الأفراد . فتفككت الأسر وانتشر الدمار النفسي وشمل كل الناس . . فلم يعد أي منهم يأمن على نفسه من جيرانه أو أقاربه أو أصدقائه أو منافسيه . . حدث كل ذلك في الوقت الذي أبيحت فيه الدعارة "رسمياً" بتصريح من الدولة على مشهد من رجال الدين ومن المسؤولين الحاكمين .

وفي نهاية القرن السابع عشر . . جنحت الحملة إلى شئ من الهدوء . . فقد تسبب الرعب في كساد البلاد . . وبدأ رجال الأعمال والحكام يتطلعون إلى إعادة الانتعاش إلى التجارة حتى تعود إلى رواجها . . وبدأت الآذان تصغي إلى أصوات الرجال البواسل . . الذين عرضوا حياتهم للموت . . فأخذوا ينشرون المقالات ضد الفزع الذي شمل الناس والحياة والأسواق على حد سواء وقد وجد أولئك الرجال اهتماماً من الملوك والأساقفة ورجال السياسة . فهولندا- التي كانت طبقاتها تعيش على الانتعاش التجاري- ضمنت الملاذ لخصوم الحمى المسعورة . . وأعطتهم حرية الدفاع والمعارضة . وكانت قد أعدمت أخر ساحرة فيها عام ١٦١ كما انتهت إنكلترا من أخر ساحرة عام ١٦٨٤ . . ووضعت أميركا نهاية لحالات الإعدام عام ١٦٩٢ ثم اسكتلندا عام ١٧٢٧ ففرنسا عام ١٧٤٥ فألمانيا عام ,١٧٧٥ كان لمناخ "التعقل" الذي شمل القارة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر . . أثر واضح للحد من جنون الانتقام الذي سيطر على آفاقها . . خلال القرون السابقة . . وبينما كانت بعض المناطق الرعوية المنعزلة لا تزال تمارس عمليات الرجم بالحجارة أو الإعدام بلا محاكمة . . صدرت عدة قوانين متتالية ثم انمحى أثرها بمرور الزمن . . ورغم القصص المتناقلة عن وجود سحرة ومشعوذين ومحضري أرواح . . فلم تلق إليهم السلطات أي بال . ولم يأت القرن العشرون حتى أعلنت الهيئات الدينية أن "هناك مؤشرات تدل على أن التعاقد والتبعية للشيطان ليسا إلا تجسيداً بشرياً للشر وانه في سبيل الزوال" . واتفق كثير من علماء اللاهوت من مختلف الطوائف في الرأي مع الكاتب البريطاني "جي . اس . ويل .. J.S.Wh.le" الذي علق الأمر بقوله : "إن فكرة الشيطان صعبة . . . بالنسبة لأفكارنا . وأنها صورة دقيقة لمبدأ الشر" .

■ ■ ■


الاســتـذئاب
4
عالم
الأرواح

إذا قلنا كلمة "الاستذئاب" فإننا نقصد في هذا المجال تشبّه الإنسان بالذئب . . أو تحوّله إلى صورته . وعندما يتحول الإنسان إلى تلك الهيئة البشعة فإنه يفوق تلك الصور التي قدمتها لنا قصص الرعب الأسطورية جمعاء! .

وتكثر قصص "المستذئب" في الفنون الفولكلورية في كل أنحاء العالم تقريباً . فنجدها في ألمانيا وأسبانيا والبرتغال وإيطاليا وفرنسا وغيرها . كما أن لذلك "المستذئب" ابن عم في البلاد التي ليست بها ذئاب . ففي الهند متشبهون بالنمور وفي أفريقيا الجنوبية متشبهون بالفهود والضباع . وهناك بلاد تعيش فيها الذئاب ولكن البعض يتشبهون بالكلاب أو القطط أو الثعالب أو الضفادع كما في فرنسا وروسيا .

وسوف يتضح مدى الرعب العميق الذي توحيه الذئاب إلى خيال الإنسان . . عندما نتقدم في سرد تاريخ المستذئبين . وهناك عامل أساسي يحدد أسباب الخوف النابع من الذئاب : ذلك أن هذا الحيوان من ألدّ أعداء الإنسان منذ بدء الخليقة . . وربما كان أكثر الحيوانات وحشية في نصف الكرة الأرضية الشمالي التي يتم صيده بلا هوادة تأميناً لحياة المواطنين .

وليست الذئاب حيوانات ضارية مفترسة فحسب . . بل إن لها خاصية معينة- بل قدرة كاملة- على الإيحاء بالخوف والاستسلام . . مما يدل على أن لها علاقة فورية بالقوى الخارقة غير المنظورة . . والذئب حيوان ليلي النشاط . . صامت . . يميل لونه إلى الرمادي غالباً . . وله عينان تلمعان في احمرار عندما ينعكس عليهما ضوء النهار . . ثم تخضران في اصفرار في ضوء القمر . . وتكتمل صورته المخيفة عند عوائه الذي يشبه النباح الحزين . وملخص القول : إن

الذئاب ذات صفة شيطانية . . ولهذا كان من السهل أن ترتبط باتباع الشيطان وصناعة السحر إلى حد ما .

وفي سنوات اضطهاد الساحرات في أوروبا . . كان الناس ينظرون إلى الاستذئاب على أنه وجه من أوجه نشاط الساحرة . . التي أوتيت القدرة على المسخ . . وتحويل نفسها إلى ذئب يتجول ليلاً لإرهاب الأهالي . . أو قتل المارة والتهامهم . وكان من المعتقد آنذاك أنها تقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليها من "إبليس" بصب الأذى على الناس . واعتقد بعض المعلقين أنه ليس كل المستذئبات من الساحرات . . وأن بعضهن كن سفيرات لجنهم ذوات مراتب دنيا . وقد ساد الاعتقاد في تلك الأيام بأن الذئاب التي بقيت أو نجت من عمليات الإبادة هي الشيطان نفسه . وكثير من الروايات التي وردت عن اجتماعات "السبت" أو مات إلى أن الساحرات كنّ يمتطين ذئاباً للانتقال من مكان إلى آخر . . كما قيل إن في بعض تلك الاجتماعات كان الحاضرون يتحولون إلى قطيع من الذئاب . . ويتجولون ليلاً لإرهاب الناس . وهناك رواية تشير إلى قطعان الذئاب التي شوهدت لمدة ١٢ يوماً . وكان عددها يقدر بالألوف . . يقودها الشيطان بنفسه وقد اتخذ لنفسه هيئة ذئب .

وقد وضح أمام الخبراء والباحثين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . . أن تحول الساحرات إلى الاستذئاب يتم بالتعاقد مع الشيطان . . فبمجرد أن يتم التعاقد على نحو ما ذكرنا من قبل . . يمنح الشيطان الشخص القدرة على المسخ . وتلك هي إحدى المواهب التي اكتسبتها الساحرة الجديدة . وليس كل مستذئب تابعاً أو متخالفاً أو متعاقداً مع الشيطان . . فهناك أسباب كثيرة أخرى لهذا التشابه . . ولا دخل للوراثة فيه غالبا . . إذ يعتقد الكثيرون أنه إذا حملت المرأة لحظة ظهور القمر الجديد فسيكون المولود شبيهاً بالذئب . . بينما يعتقد غيرهم أن هناك زهرة معينة إذا أكلها أي فرد تحوّل إلى ذئب . وكذلك من شرب من مشرب الذئب أو أكل مخه أو خطا موضع خطاه! هكذا تقول أساطير الآداب الشعبية المتوارثة في شبه جزيرة البلقان . . وهي المرتع الخصب لأساطير الاستذئاب ومصاصي الدماء .

وقد افترض الساحر "باراسيلسوس "P.r.celsus في القرن السادس عشر . . أن الإنسان الذي عاش حياة وحشية يعود بعد موته في صورة ذئب . وطبقاً لما قاله الكاتب الفرنسي "كلود

سينيول "Clude Seignolle" من أن "الأدب الشعبي الفرنسي يشمل قصصاً عن كهنة صبوا لعناتهم على المجرمين بهدف تحويلهم إلى ذئاب سبع سنوات" . وذكر آخرون حدوث حالات الاستذئاب التي تمت بإرادة الشخص أو رغماً عنه . وفي بعض الأوقات كان يعتقد أن المسخ أو التحول إلى ذئب يأتي بطريقة وراثية بينما يؤكد كثير من الباحثين المعاصرين- ومنهم "مونتاج سامرز -"Montgue Summers بإصرار أن تحوّل الإنسان إلى ذئب حالة من حالات المس الشيطاني .

ونذكر- على سبيل العلم فقط- ما قاله أحد المتخصصين في مضمار ذلك التحول . . عندما يريد أي فرد أن يتحول إلى ذئب . . يمكنه تطبيق أيّ من الأساليب السحرية . . مع إجراء الطقوس الخاصة . . مع العلم بأن جوهر هذه الطقوس نوع من السحر الأسود . . الذي يشبه أعمال المشعوذين عند استحضار الشياطين . إلاّ أنه يتميز بعلامات خاصة بالاستذئاب . إذ أنه على الراغب أن يذهب إلى غابة معزولة أو سفح جبل عند حلول الليل . . والقمر مكتمل وعندما ينتصف الليل يرسم دائرة سحرية قطرها الخارجي سبعة أقدام وأخرى داخلية قطرها ثلاثة أقدام . . ويشعل في مركزها ناراً ويضع عليها مرجلاً يغلي فيه المستلزمات (نبات الشوكران السام . . نبات الأفيون . . نبات البنج المخدر . . نبات البقدونس) ثم يقرأ التعويذة الآتية :

أيتها الذئاب . . ماصة الدماء . . آلهة العربدة والأشباح!

اختاروني من بين كل الحشود الشيطانية!

إنني أتوسل إليكم أن ترسلوا لي هنا . .

ترسلوا لي هنا . . . ترسلوا لي هنا . .

الشبح العظيم . . رمادي اللون الذي يرعب الرجال!

ثم يتجرد تماماً من ملابسه . . ويلطخ جسمه بدهان مجهز من قبل . . وهو دهان أسود . . يدخل في تركيبه بعض العقاقير مثل "الأكونايت" و "البلادونا" . . وربما كانت دماء الأطفال أحد المكونات الأساسية لهذا الدهان . ثم يلبس حزاماً مصنوعاً من جلد الذئب . . ثم يركع وينتظر .

فإذا قام بأداء الطقوس بطريقة صحيحة . . فسيظهر شيطان (إبليس أو أحد أعوانه) يقوم بمنحه قوة المسخ التي أرادها . وفي كثير من الأساطير نرى أن عملية المسخ والتحول إلى ذئب قد تتحقق بالطقوس وحدها . . إلاّ أن الشيء الهام دائماً لبس ذلك الحزام المصنوع من جلود الذئاب وأحياناً جلد ذئب كامل . وفي بعض الروايات الفولكلورية نجد أن رجالاً تحولوا إلى ذئاب بمجرد أن تعروا من ملابسهم تحت ضوء القمر المكتمل . . ثم تدحرجوا في الطين عدة دقائق ثم لبسوا ذلك الحزام الجلدي . أما طريقة العودة إلى الإنسانية العادية . . فكما يقول الباحثون أنه يلزم إجراء طقوس خاصة . . تنتهي بالتمرغ في الأوحال ثم الاستحمام في ماء جار . وتتم العودة تلقائياً عندما ينتهي الليل . أما في ليالي الممارسات الاستذئابية . . فيكون النشاط قاصراً على أعمال الذئاب كالصيد والقتل والتهام الضحايا . لأن المستذئبين عادة ما يكونون شديدي الشره لأكل اللحوم البشرية! ولذلك رأينا أن بعض الساحرات لهن ولع خاص باختطاف الأطفال وأكل لحومهم في اجتماعات "السبت" . وقد حدث في القرن السابع عشر- بفرنسا- أن اعترف أحد المستذئبين من تلقاء نفسه- وهو شاب معتوه كان يدعى "جان جرينييه -Jean Grenier" بأنه قتل وأكل عدداً كبيراً من الفتيات الصغيرات . وقد حوكم بأمر السلطات بناء على اعترافه . وهكذا نجد أن المستذئب قد جمع بين أشنع المحظورات التي حرمتها الديانات منذ خلق الدنيا . . ونحدد منها أكل لحوم البشر والانحراف الجنسي . وكلتا الجريمتين حدثت بكل بشاعتها في تلك الحادثة التي اشتهرت في ألمانيا في القرن السادس عشر . . ونقصد بها حادثة «بيتر ستاب» Peter Stub .

تحوّل "ستاب" هذا إلى ذئب بعد أن تعاقد مع الشيطان . وطبقاً للنشرة التي صدرت عن الحادث عام ,١٥٩ كان هدفه "ممارسة حقده ضد الأهالي بكافة جنسياتهم في صورة حيوان ما . . حيث يستطيع العيش بدون أخطار أو خوف . وأن يكون مجهولاً عند حدوث أية جريمة دموية يقوم بارتكابها" . وقد أعطاه الشيطان حزاماً من جلد الذئب . وكان "ستاب" يتحول إلى ذئب بمجرد لبسه ذلك الحزام . ثم يمارس نهشه لحوم إناث الأطفال . وهكذا بدأ نشاطه المرعب . . الذي أفزع الناس قرابة خمس وعشرين سنة! .

كان يفتك بالماشية والأغنام من حين لآخر . وقد قتل كثيراً من الذين ضايقوه من قبل . وكان يغتصب ويفترس النساء والفتيات . "وكان ينتقل من مكان إلى مكان . . وأشهر طريقة

اتخذها أن ينفرد بضحاياه في الحقول ثم يغتصبهن هناك قبل أن يقتلهن ببشاعة لا توصف" .
وخلال سنوات قليلة استطاع القضاء بهذه الطريقة على ثلاث عشرة طفلة وشابتين حاملين كما مارس ذلك السفاح أعمال الفحش والزنا بالمحارم كابنته ـ التي وضعت منه طفلاً ـ وأخته . . وقد جاء في التقرير أنه في خلال السبع سنوات الأولى قام بتلك الأعمال مضافاً إليها مضاجعته للمرأة التي أرسلها له الشيطان . . وافتراسه ابنه منها . وعندما شاء القدر أن تنتهي حياة ذلك الجرد المجنون . . نجحت محاولات الناس في اصطياده . . فقد طارده الرجال ومعهم كلابهم وهو في شكله الذئبي . . وقد حاول التخلص من مطارديه بخلع الحزام والعودة إلى الهيئة الآدمية . . إلاّ أن مطارديه شاهدوا بأعينهم التحول الذي حدث فقبضوا عليه واقتادوه إلى أولي الأمر لمحاكمته . ورغم اختفاء الحزام كانت شهادة الشهود كافية لإدانته . وقد تم تعذيبه بشكل رهيب قبل إعدامه . . ثم صلب جسمه فوق عمود خارج مدينة "بدبرج" ليكون بمثابة تحذير لأمثاله بسوء العاقبة .

ويقول الباحثون إن الشيطان ـ حينذاك ـ كان يترك الحرية لأتباعه من الشر في اختيار طريقة التخلص من المأزق عند القبض عليهم . . وينتظر ببساطة خروج أرواحهم حتى تصعد إلى الجحيم! كانت وسائل التخلص من أولئك المستذئبين تتم بنفس الطريقة التي يتخلص بها الفلاحون من الذئاب : كانوا يقتلون الذئاب بالهراوات أو السكاكين أو البنادق . . ثم يفاجأون بتحول الذئاب إلى أشكال آدمية! وهناك قصة فرنسية من القرن السادس عشر . . تدور حول صياد واجه اعتداء وحشياً من أحد الذئاب الضارية . وخلال الصراع الذي اشتعل بينهما . . استطاع الصياد قطع أحد مخالب الذئب . ثم وضع المخلب في كيس من القماش وعاد راجعاً إلى بيته . وفي طريق عودته التقى بصديق له . . وقصّ عليه ما حدث من معركته مع الذئب إلى أن وصل إلى ذكر المخلب . وعندما فتح الصياد الكيس ليري صديقه المخلب الذي قطعه من ساق الذئب . . وجد بدلاً منه كف امرأة وفي أحد أصابعها خاتم من الذهب . . وأدرك على الفور من تكون صاحبة هذه الكف . . فاندفع إلى بيته حيث وجد زوجته- كما توقع- قد ربطت بضمادات كثيفة فأبلغ عنها السلطات التي حكمت عليه بالإعدام حرقاً . . حسب القوانين السائدة في ذلك الوقت .

وكان هناك كثير من الإجراءات الأخرى شبه السحرية . . استطاع بها الناس حماية أنفسهم من أولئك المستذئبين . كان من بين المعتقدات الإنجليزية أن المستذئب لا يتأثر بطلقات الرصاص العادية . . إلا إذا كانت من الفضة . ولهذا كانوا يحتفظون بقطع من الفضة في الكنائس على سبيل الاحتياط . وقد لجأوا في بعض الأحيان إلى نزف قطرات من دم المستذئب طلباً في شفائه . . أو ندائه باسمه الحقيقي . وفي الفولكلور الفرنسي أنه من الممكن شفاؤه إذا استمر وخزه بالإبر حتى الإدماء كل مساء . أما المستذئب الذي كانت حالته نتيجة لعنة أحد الكهنة . . فيمكن شفاؤه إذا ما جرحه نفس الكاهن . . شريطة أن ينزف جسمه الدم . وفي كل الحالات نجد أن "الإنسان" يبقى بينما يذهب عنه الوحش . وهناك بعض الدول- ومنها بريطانيا- قد لجأت إلى وسائل أخرى للوقاية والعلاج . منها مستخلصات من الأعشاب مثل الجازون والسدر الجبلي والدابوق مع الرماد . ويقول بعض العارفين أن الذئاب تخاف الماء الجاري (وربما خلصوا بين الاستذئاب والسعار . . باعتبار أن المستذئب كان ذئباً حقيقياً ثم أصابه السعار وما يتبعه من هياج) .

ومن علامات الإنسان المستذئب وجود تحولات في شكله . . منها الحاجبان المستقيمان مع قليل من الانحراف حتى يلتقيا أعلا الأنف . . والأظافر التي يميل لونها إلى الأحمر غير العادي . . مع صغر الأذنين وهبوطهما . . وطول الإصبع الثالث عن معدله الطبيعي . . وكثافة واضحة في الشعر . . خاصة في اليدين والقدمين . . ولا يميز المستذئب عن الذئب الحقيقي- كما يقال- إلا أن المستذئب يكون أكثر غموضاً وأكبر حجماً وأكثر شراسة ونهماً . وفي قصص الفولكلور الأوروبي نجد أن للمستذئب جسداً آدمياً ورأس ذئب . . وقد يكون ذئباً بيدين آدميتين .

وفي إحدى الحالات المنسوبة إلى العالم الفرنسي "كلود سينيول "Cl.ude Seignolle قال : شاهد أحد الفرحين الفرنسيين ذئبين . . فاعتلى شجرة فراراً منهما . . ومن حسن حظه أنهما لم يشاهداه . . واستطاع أن يحدق فيهما بعينيه . . فاكتشف أنهما مستذئبان وليسا ذئبين . . ووجد أنهما لم يتحدثا كالبشر فحسب . . بل أخرج أحدهما علبة تبغ من تحت ذيله وقدمها إلى رفيقه . . ولما فرغت العلبة ألقاها على الأرض . وقد استطاع الفلاح فيما بعد أن يعثر

على العلبة . . وبدأ في تتبع صاحبها وكان رجلاً من أهل المدينة . وقبل ذلك بسنوات مات أحد المستذئبين بطريقة طبيعية . وقد اكتشف أن حجر المقبرة التي ووري فيها كانت عليه آثار نبش حديث . ظلت تتكرر كل صباح . . وكانت آثار مخالف ذئب .

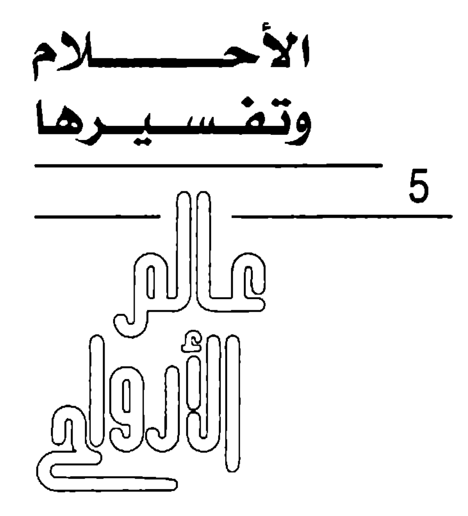
وقد وضع ذوو المعرفة بالقوى الخارقة- خاصة خبراء السحر منهم كثيراً من النظريات عن الدرجات المختلفة لقبول واستصواب الروايات . . لتفسير كيفية وسبب انتشار أساطير المستذئبين منذ بداية أمرها . . وسبب استمرارها بنفس الدرجة في كل أنحاء العالم تقريباً هو أن أولئك الباحثين وجدوا أن أصل الأسطورة راجع إلى أزمنة بعيدة جداً ويقال أن رجلاً قد عاش في اليونان القديمة . . اسمه "ليكايون .. "Lyc.eon بلغ من إفراطه في عبادة الإله "زيوس" أن قدم له قرباناً ضحية . . كان طفلاً بشرياً . إلا أن الإله غضب عليه وحوّله إلى ذئب! وقد زاد بعض الكتاب اليونانيين لزخرفة القصة أن "ليكايون" لم يضحّ بالطفل فقط وإنما أكل لحمه أيضاً! .

وعلى أية حال انتشرت عبادة "زيوس" بارتداء أقنعة على شكل رأس الذئب . كما أن أفراد طائفة "المانيداس" كانوا يرتدون ـ أيضاً ـ نفس الأقنعة في أعمالهم الهمجية . . عندما كانوا يطاردون حيواناً ـ أو إنساناً في بعض الأحيان ـ في الغابات . . ثم يمزقونه شر ممزق بعد أن يقع في أيديهم . وقد كانت نتيجة ذلك ـ كما تقول الأسطورة ـ أن ظهرت القصص المزيفة المليئة بمثل تلك الأشكال العربيدة اعتقاداً من الناس أن هناك من يتحولون إلى ذئاب .

■ ■ ■

الأحلام وتفسيرها

5



استيقظت الفتاة فجأة من حلم مخيف رأت فيه ذئباً مفترساً في قبو المنزل يعوي . ويزمجر بلا توقف . ولكن تيقظها من هذا الحلم لم يهدئ مخاوفها . . وإنما ازدادت رعباً . . إذ أحست أن هناك أحداً ينام إلى جانبها في السرير . . فمدت يدها لترى من يكون هذا الضيف غير المرغوب فيه . . وعندئذ لمست كتفا أملس لامرأة عارية . . والتفتت نحوها المرأة قائلة : "إنني لم أنم في سرير منذ مائة عام"! .

ومضت المرأة الغريبة تشرح قصتها في صوت لطيف هادئ فقالت أنها كانت امرأة منذ مائة عام وفي ذلك الوقت اعتادت أن تنزلق من جانب زوجها أثناء الليل وتجري في الغابات في هيئة ذئب لتقتل الحملان والدجاج وأمسكت المرأة بيد الفتاة وجعلتها تمر على ظهرها لتلمس آثار الجروح والعضات التي أحدثتها فيها الذئاب الأخرى أثناء اللعب! .

وأضافت المرأة أن زوجها حاول كل ما في استطاعته ليبقيها إلى جانبه أثناء الليل . . وعندما فشل مراراً قتلها في النهاية . . ومنذ ذلك الحين لم تشعر بالراحة الإنسانية ولم تتمكن من الاستحواذ على أي نفس بشرية . ثم قالت في نبرات عذبة "ولكن الآن . . . ها أنا قد حصلت عليك"! .

وأمسكت المرأة بيد الفتاة وراحت تدنيها ببطء نحو صدرها . . وشعرت الفتاة أنها إذا لمست قلب المرأة سوف تتحول إلى ذئبة هي أيضاً . . فأشلها الرعب . . ولكنها فجأة انتفضت انتفاضة قوية فاستيقظت للمرة الثانية وهي ترتجف ويتصبب منها العرق . وعندئذ شعرت براحة كبيرة حين أدركت أن يقظتها الأولى كانت جزءاً من الكابوس الرهيب الذي تعرضت له .

هذا الحلم الذي حدث للرسامة الإنجليزية جوان رافيرات أثناء المراهقة . . وسجلته في كتابها "قطعة من الزمن" يحوي كل خصائص الكابوس التي يعرفها كل من يتعرض لهذه التجربة المزعجة . . إذ أن أحلام الكوابيس تبدو درامية . . ذات منطق كما لو كان يحكيها روائي ماهر . . وتبدو بالنسبة للحالم حية كالحقيقة نفسها ومشحونة بالعواطف التي يندر أن يكون لها مثيل في حياة اليقظة نفسها .

وحتى الأحلام الخفيفة والسعيدة قد تؤثر في حواس اللمس والسمع والنظر والشم . . وتخلق شعوراً لدى الحالم بأنه في تجربة حية واقعية لا يمكن الحصول عليها من مشاهدة أي فيلم مشوق مثير . . فالذهن الحالم يقبل عالم الأحلام تماماً كما يقبل الذهن المتيقظ العالم المادي الحقيقي . . ومن النادر جداً أن يعرف الحالم أنه في حلم . . كما أن الذهن الحالم أكثر خيالاً ودهاء وتعقيداً .

وتجربة الحلم من الغرابة والشيوع بحيث حيرت البشرية منذ فجر التاريخ المكتوب إلى الآن . . فالناس في كل العصور حتى العصر الحاضر لا يتوقفون عن التكهنات حول الأحلام . . لماذا تحدث . . وكيف . . ومن أين تأتي . . وما تفسيرها! .

وكل عصر . . وكل ثقافة . . حاولت إجابات لمثل هذه الأسئلة . . .

والنظرية السائدة عن الأحلام في الغرب في القرن العشرين ترى أن الأحلام هي لغة الذهن غير الواعي . . أو اللاشعور . . وان كل شئ يخاف منه الفرد أو يحاول أن يكتبه أو كل رغبة خفية لديه تظهر في تجربة الحلم . . كل ما في الأمر أن الذهن الحالم يحاول أن يخفي أفكاره بتقديمها في شكل رمزي . . ولكن هذه الرموز يمكن فكها بالتحليل النفسي . . فالحلم الذي ذكرته الرسامة الإنجليزية جوان رافيرات يمكن أن يكون مصدر ابتهاج شديد لأي محلل نفساني حديث خاصة إذا كان من أنصار مدرسة فرويد . . فالمحلل الفرويدي يرى في هذا الحلم حالة واضحة للخوف من المشاعر الجنسية ومحاولة كبتها : القبو يمثل لا شعور الفتاة أو عقلها الباطن . . والذئب الذي يعوي ويزمجر يمثل الطبيعة الحيوانية لدى الفتاة الحالمة . . وصراعها مع المرأة الذئبة يدل على صراعها الداخلي للسيطرة على مشاعرها الجنسية .

ولكن إذا كانت هذه الرسامة التي عاشت في العصر الفيكتوري في القرن الماضي قد حكت هذا الحلم لوالديها لقالا لها "هذا كلام فارغ" أو ربما نصحاها بعدم تناول عشاء ثقيل قبل النوم أو أن تتوقف عن قراءة القصص المرعبة .

والواقع أن الكثيرين من الناس مازالوا مؤمنين بنظرية "العشاء الثقيل" في تفسير الأحلام حتى الآن . . ولكن عددهم في تناقص مستمر . إذ تنتشر نظرية "الحلم كلغة للاشعور" وتكسب أنصاراً يوماً بعد يوم .

ولكن نظرية الحلم كلغة للشعور تبدو قاصرة أحياناً عن تفسير بعض الأحلام . ويؤكد الباحثون المحدثون والتراث القديم على السواء أن ظاهرة الأحلام أشد غرابة وتعقيداً مما يتصور المحللون النفسانيون في العصر الحديث .

فهناك أحلام تمتزج بالحقيقة الواقعية على نحو يثير الدهشة . . . خذ مثلاً قصة البقال الإنجليزي جون تشابمان الذي كان يعيش في قرية "سوافهام" بإنجلترا في القرن الخامس عشر . . ومثل هذه الحكاية الأسطورية لا يمكن أن تكون دليلاً يقنع المتشككين . . ومع ذلك فإنها تستحق أن تروى باعتبارها صورة لحلم خارق علاوة على كونها قصة مسلية .

أن من يزور قرية سوافهام اليوم يسمع هذه القصة من أبناء القرية . . ويرى في كنيسة القرية صوراً مصنوعة من الخشب المحفور والزجاج الملون لجون تشابمان وأسرته تخليداً لذكرى كرمه وعطفه على كنيسة قريته .

كان جون تشابمان بقالاً فقيراً في سوق القرية وذات يوم رأى في المنام من يأمره بالذهاب إلى لندن والانتظار فوق جسر لندن وهناك سوف يقابل رجلاً يعطيه أنباء عن ثروة هائلة يمكنه أن يحصل عليها .

وكان الحلم من قوة الإقناع بحيث لم يسع تشابمان إلا الامتثال لأمره . . فخرج على الفور قاصداً لندن مشياً على الأقدام قاطعاً المسافة وطولها ميل في ثلاثة أيام وهناك انتظر فوق جسر لندن لمدة ثلاث أيام أخرى وكان جسر لندن في تلك الأيام تقوم عليه الدكاكين والبيوت . . ولكن أحداً من المارة الكثيرون لم يتوقف للحديث معه . . حتى شعر باليأس وكاد يهم بالعودة

إلى "سوافهام" حيث تنتظره بالتأكيد توبيخات أسرته وجيرانه وسخريتهم منه . . وفي هذه اللحظة اقترب منه رجل من أصحاب الدكاكين المجاورة كان قد لاحظ وجوده القلق الغريب خلال هذه الأيام الثلاثة . . وسأله عما ينتظر .

وتمضي القصة فتقول أن تشابمان دون أن يذكر للرجل اسمه أو من أين جاء أبلغه بأمر الحلم . . وعندئذ انفجر الرجل ضاحكاً وقال له "يا لك من غر أبله! لو كنت أنا قد أطعت حلماً مماثلاً لكنت قد أصبحت مغفلاً مثلك . . فقد حلمت منذ مدة أن هناك مكاناً يدعى سوق سوافهام في مقاطعة نورفولك يعيش فيه بقال يدعى جون تشابمان ـ على ما أذكر وأن هذا البقال له شجرة في حديقة منزله الخلفية ـ هكذا حلمت ـ وتحت هذه الشجرة توجدة جرة كبيرة مليئة بالنقود . . . والآن لنفترض أنني ذهبت كل هذا السفر الطويل لأبحث عن هذا الكنز المزعوم تنفيذاً للحلم . . يا لي من غبي أحمق حينئذ"! .

ولا تذكر القصة ماذا كانت إجابة جون تشابمان للرجل صاحب هذا الفضل الكبير . . ولكنه لم يتوان عن العودة إلى "سوافهام" بأسرع ما يمكن . . وهناك أخذ يحفر تحت شجرة الكمثرى في حديقته الخلفية فأخرج جرة كبيرة مليئة بالقطع الذهبية والفضية! .

ولاشك أن هذه القصة قد دخلتها تحويرات كثيرة وهي تحكى عبر القرون . . ومن السهل رفضها كمجرد حكاية فولكلورية لا أساس لها من الصحة . . ومع ذلك فإن تجارب مشابهة ليست معدومة في عالم اليوم بل وخضعت للتحقيق والبحث العلمي . . وتروي العالمة الباراسيكلوجية لويزا راين في كتابها "أساليب الذهن الخفية" أمثلة كثيرة عن هذه الأحلام التي تمتزج بالواقع . . منها هذا الحلم الذي حدث لجيولوجي هاو شاب :

يقول أنه حلم بوجود حجر ثمين في أحجار "الجاد" يقع في المياه الضحلة في مكان معين بالقرب من شاطئ النهر الذي يجري خارج المدينة على مسافة حوالي ١٥ ميلا . . وعندما استيقظ أبلغ زوجته بحلمه واقترح عليها أن يخرجا بعد تناول طعام الإفطار إلى المكان الذي رآه في الحلم . وقد كانا غريبين عن المدينة فظلا يسألان عن الطريق حتى وصلا بالسيارة إلى نفس المكان الذي تراءى له . . وهناك تركا سيارتهما وأخذا يتمشيان على الشاطئ . . وخلال نصف

ساعة عثرا على الحجر "الجاد" الثمين الذي رآه الزوج في الحلم . . وقد عرض على الجيولومي الشاب فيما بعدُ ثمناً كبيراً مقابل هذا الحجر . . ولكنه رفض أن يبيعه واحتفظ به . . وأراه للعالمة الباراسيكلوجية لويزا راين .

***

هذه القصة التي روتها الباحثة لويزا راين عن حلم الشاب الجيولوجي لا تختلف في نوعها وغرابتها عن قصة حلم البقال تشابهان . . فالقصتان ترويان حلماً به قطعة من الواقع الذي ليس لدى الحالم علم مسبق به . والاختلافات بينهما يكمن في أن تشابهان كشف عن هذا الواقع عن طريق التنبؤ بالمستقبل . . أما الجيولوجي الشاب فقد كشفه عن طريق الاستشفاف أو الاستبصار أو الرؤية عن بعد كما يقول الباراسيكلوجيون .

والمشكلة أن هذا التفسير لا يقنع غالبية الناس في هذا العصر المادي . . فالناس قد درجوا على اعتبار أنه من غير الممكن الحصول على معلومات من ذهن آخر أو معرفة أي حدث أو أي شئ مادي إلا عن طريق الحواس الخمس مما يستبعد ملكتي "التليباثي" و"الاستبصار" كما أننا درجنا على اعتبار أنه من المستحيل أن ينتج أي حدث آثاره قبل أن يقع مما سيتبعد احتمال التنبؤ بالمستقبل . . وهذه الحدود التي لا يتجاوزها الذهن البشري في هذا العصر العلمي هي ما يسميها الناس بالفطرة السليمة . . أو البديهة . . فإذا سألتهم أن يثبتوا هذه المبادئ التي يسمونها بديهية حاروا في الأمر وقالوا "أنها مسألة هكذا بالعقل"! أما التخاطر والاستبصار والتنبؤ وما أشبه فأشياء ليست . . بالعقل . . بل إنها في الواقع ضد العقل تماماً . . العقل الذي يفرض على نفسه حدود الإدراك الحواسي ويرى ابتداء أن مثل هذه الظواهر لا يمكن أن تحدث ومع ذلك فإن الشواهد المتراكمة تدل على أن هذه الأحداث الخارقة تقع بالفعل . . ومعظم هذه الشواهد تأتي من دراسة الأحلام .

***

والأحلام أنواع متعددة . . بل لا تكاد تدخل تحت حصر . . فمنها أحلام الهلوسة أو التخريف التي لا معنى لها . . والأحلام الخيالية . . والأحلام الدرامية . . والأحلام المؤلمة . . والأحلام الرمزية . . والأحلام المعبرة عن مشاكل عاطفية . . والأحلام الخلاقة الموحية باكتشاف

في العلم أو الفن . . وأحلام التخاطر مع ذهن آخر . . وأحلام الاستبصار أو الرؤية عن بعد . . وأحلام التنبؤ بأحداث مقلة . . وغير ذلك من الخصائص والأنواع .

ولا توجد نظرية واحدة يمكنها أن تفسر كل أنواع الأحلام . . ولكن من المؤكد أن أقل النظريات إقناعاً هي نظرية "العشاء الثقيل" التي تحاول أن تجرد ظاهرة للأحلام من أي معنى وتجعلها مجرد عرض من أعراض سوء الهضم . . وعندما نشر فرويد كتابه الثوري المثير "تفسير الأحلام" في عام ,١٩ . ساعد بذلك كثيراً من الناس على أن يأخذوا أحلامهم بجدية وأن يفهموا بعض معناها الرمزي . . ولكن نظرية فرويد ثبت أنها متعسفة وغير كافية . . فالتفسيرات الفرويدية الجامدة تحاول أن تشوه كثيراً من الأحلام وتجردها من قيمتها من أجل أن تجعلها تناسب النظرية .

والحقيقة أن فرويد رغم أفكاره الثورية في علم النفس كان جزءاً من الحضارة الغربية العلمية المادية التي أنتجته . . وهذه الحضارة تركز على أهمية الوعي والحياة العملية وتميل إلى اعتبار اللاوعي أو اللاشعور أو العقل الباطن مجرد مخزن للأفكار الأليمة أو غير المقبولة . . وهذا ليس صحيحاً . . فاللاوعي لا يقل أهمية ونشاطاً وإيجابية عن العقل الواعي . . بل لعله أكثر ذكاء وموهبة منه . . وقد بدأ علماء النفس في الآونة الأخيرة ينظرون باحترام أكبر إلى اللاوعي وقواه الإيجابية .

أما الحضارات الأخرى التي تنجو من هذه اللوثة المادية والتي يعتبرها الغرب متخلفة . . فإنها تقف موقفاً مختلفاً إزاء الأحلام . . فهي ترى في الأحلام نوافذ مفتوحة على عوالم غير مرئية . . عوالم متصلة بالسلف الصالح أي الماضي كما هي متصلة بالأحداث المقبلة أي المستقبل الذي لا يزال في علم الغيب .

ومن أشهر الأحلام في تراثنا الإسلامي . . مثلاً . . الحلم الذي رآه النبي يوسف طفلاً حتى رأى الشمس والقمر والنجوم ساجدات له . . وحلم فرعون بالبقرات السمان والعجاف وسنابل القمح . وفي الزمن الحديث يقال أن زعيم قبيلة الماساي الإفريقية المحاربة رأى في المنام قبل أن يموت بقليل كأن ثعباناً ضخماً يزحف عبر أرض الماساي وطيوراً ضخمة تطير في السماء وتلقي بظلها على الأرض وأن هذه الأشياء سوف يحضرها "الرجل الأبيض" . . فجمع أفراد قبيلته . .

وأبلغـهم بالحلم وحـذرهم من سـفـك دم الرجل الأبيض لأنه إذا حـدث ذلك فإن نصف أفـراد القبيلة وكل الماشية تقريباً سوف تموت . . وبعد ذلك بسنوات عندما شرع الإنجليز في مد الخط الحديدي عبر أوغندا فوجئوا بأن رجال قبيلة الماساي لا يتعرضون لهم . . مع أن الإنجليز كانوا يتوقعون منهم مقاومة شديدة . . وذلك لأن رجال الماساي رأوا في الخط الحديدي ذلك "الثعبان الضخم" الذي شاهده زعيمهم في المنام قبل موته وحذرهم من التعرض له . . ولكنهم بعد ذلك حين نسوا تحذير زعيمهم وأقدموا على قتل رجل أبيض في عام ١٨٩٨ رد الإنجليز بمذبحة ضد قبـائل الماسـاي انتشـرت على أثرها الأمـراض والطواغين التي فـتكت بمعظم الماشـية وكثـير من الناس . . وبذلك تحققت رؤيا الزعيم . . أما "الطيور الضخمة" التي تلقي بظلها على الأرض فقد فسرها رجال الماساي بأنها تعني الطائرات الكبيرة في الأزمنة الحديثة! .

***

ما هو الحلم بالضبط؟

أننا نعتبر الحلم صورة ذهنية لا إرادية نجربها أثناء النوم . . . وهذا التعبير يتسع لمعظم الأحلام العادية بالفعل حتى تلك التي بها عناصر غير مألوفة . . ولكن هل جميع الأحلام عادية؟ وهل جـمـيع الأحـلام تحـدث في حـالـة نوم طبـيـعي؟ ألا يمكن أن تكون بعض الأحـلام وسـيلة باراسيكلوجية للاتصال بين الأذهان أو بين الذهن والعالم المادي أو الروحي الخارجي؟ إن كثيراً من الأحلام التي سجلها التاريخ كان لها تأثير فعال على أصحابها . . بل أن بعضها قد غير العالم بالفعل . . وكلما مضينا في دراسة الأحلام ازدادت حيرتنا إزاء الذهن البشري ومدى تعقيده ودهائه وغموضه .

فلنمض إذن في قراءتنا لهذه الظاهرة .

***

تفسير الأحلام

في كل عصور التاريخ . . وفي كل الحضارات والمجتمعات . . ظهر مفسرو الأحلام . . فهذه الظاهرة ـ ظاهرة الأحلام ـ تلعب في حياة الإنسان وتاريخه دوراً أهم من أن يهمل . . ومن هنا

ظهر فن تفسير الأحلام ابتداء من الكهنة القدامى ويوسف الصديق إلى ابن سيرين وغيره من مفسري الأجيال التالية .

ويعتبر العالم النفساني سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) ابن سيرين العصر الحديث . . فهو الذي ألقى بظله على فن تحليل الأحلام في هذا العصر . . ونقله من مجال الحدس والخرافة إلى مجال البحث العلمي . . وقد تأثر بمنهج فرويد في تحليل الأحلام كل علماء النفس اللاحقين رغم عدم موافقتهم على كثير من نظرياته . . فكل هؤلاء وعلى رأسهم كارل بانج هم من تلاميذ فرويد الثائرين عليه .

وقد نشر فرويد في عام ١٩,. كتابه الهام "تفسير الأحلام" الذي أحدث ثورة هائلة في الفكر . . واعتبر فيه الأحلام هي لغة اللاشعور أو المفاتيح التي تفتح للمحلل النفساني مجاهل اللاوعي والعقل الباطن . واللاشعور كما يقول فرويد هو مخزن الأفكار والرغبات والتجارب والمشاعر المكبوتة . . فأية فكرة أو رغبة أو تجربة مؤلمة يريد أن يخفيها الفرد لا تتبدد هباء حتى إذا نسيها بالفعل . . وإنما تهبط إلى اللاشعور وتغوص فيه . . لتظهر فيما بعد في صورة متاعب نفسية أو جسمية . ولما كان أقوى دافع لدى الإنسان في رأي فرويد هو الدافع الجنسي لذلك فإن طبيعة مخزونات اللاشعور جنسية أساساً . . وما الأحلام إلا رموز جنسية تنطلق من اللاشعور أثناء النوم . . ويمكن بتحليلها أن يضع المحلل النفساني يده على مكمن الداء . . ولكن ينبغي على محلل الأحلام أن لا يأخذ بشكلها الظاهري بل عليه أن يتعمق في مغزاها الرمزي حتى يصل إلى محتواها الحقيقي . . وحتى يمكنه أن يفعل ذلك عليه أن يفهم "ميكانيزم" اللاشعور وكيف يتحايل على إخفاء التجارب الأليمة ومشاعر الإحباط التي تؤرق الوعي . . وهي التي تظهر في شكل رمزي في الحلم .

وقد انتقدت نظريات فرويد بشدة فيما بعد . . ووصفت بأنها جامدة وضيقة تغلب دافعاً واحداً هو الدافع الجنسي على غيره من الدوافع المختلفة لدى الإنسان والتي لا تقل عنه قوة وتأثيراً .

وكان أول الثائرين على فرويد تلميذه وصديقه كارل جوستاف يونج الذي ولد عام ١٨٧٥ ولازم فرويد كتلميذ مخلص في الفترة بين عامي ١٩,٧ و١٩١٣ ثم اختلفا وافترقا بعد ذلك . .

فقد كان فرويد لا يثق في اهتمامات يونج بالظواهر الروحية الخارقة . . وكان يونج يشعر أن نظريات أستاذه قاصرة لأنها تركز على الناحية الجنسية وحدها .

ومع ذلك فقد التزم يونج بمنهج فرويد في تفسير الأحلام باعتبارها لغة اللاشعور والطريق إلى استكشاف الجانب الخفي في الحياة الذهنية . . ولكنه لم يتفق معه في كثير من نظرياته حول اللاشعور وهو أنه ملىء أساساً بالمشاعر والإحباطات الجنسية والمخاوف والرغبات المكبوتة . . حقا هناك أحلام كثيرة تعبر عن هذا الذي أشار إليه فرويد ولكن توجد إلى جانبها أحلام كثيرة أخرى لها طبيعة مختلفة تماماً . . فقد تعبر عن حقائق علمية . . أو قضايا فلسفية . . أو تجارب في الحياة . . أو رؤى تليباثية . . إلى غير ذلك في المجالات .

وأضاف يونج أن اللاشعور ليس مخزناً للأفكار والرغبات والتجارب والمشاعر المكبوتة لدى الفرد فحسب . . وإنما يحوي أيضاً عناصر مشتقة من التجارب والذكريات الجماعية للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد . . وهو ما يعبر عنه باللاشعور الجماعي .

وفكرة "اللاشعور الجماعي" من أبرز إضافات يونج في علم النفس وعلم الاجتماع على السواء . . فهو يرى كما أن الأفراد يتوارثون خصائص تشريحية وفسيولوجية معينة تميز الجنس بأكمله مثل لون البشرة وملامح الوجه وتركيب العظام . . . الخ . كذلك فإنهم يتوارثون خصائص ذهنية ونفسية تعود إلى المنابع البدائية الأولى وهي كامنة في شكل عواطف ونبضات خفية في اللاشعور الجماعي الذي يتوارثه الفرد . . وأحياناً تنفجر هذه الموروثات البدائية في شكل أفعال لا معقولة تنبو عن المنطق والواقع وتهز توازن الفرد أو الجماعة أو الأمة بأسرها .

وهذا "اللاشعور الجماعي" هو الذي تتولد فيه الأساطير والرموز التي تعتقد بها الجماعة بأسرها . . وهو المسئول عن تكرار ظهور بعض المواقف أو الأحداث أو الشخصيات المتشابهة داخل جماعة معينة عبر فترات متباعدة في تاريخها .

ويرى يونج أن اللاشعور الجماعي الكامن في ذهن كل فرد هو مخزن هائل لرموز الأحلام التي تتراءى للفرد أثناء النوم حتى لو لم تكن لديه أية معرفة واعية بالأساطير والرموز الكامنة في لاشعوره . . فالطفل مثلاً الذي لم ير ثعباناً في حياته قد يراه في منامه ويشعر أنه مخلوق

شرير . . أو قد يشاهد في منامه احتفالاً به رقصات وثنية كان يؤديها أجداد منذ آلاف السنين . . أو قد يشاهد رمزاً يدل على أسطورة قديمة . . وكل هذه عناصر في لاشعوره الجماعي توارثها دون أن يدري بها .

ولكن اللاشعور بقسميه الفردي والجماعي ليس مخزناً للماضي فحسب وإنما هو أيضاً مليء ببذور الأفكار والمواقف النفسية في المستقبل كما أنه أكثر حكمة وأبعد نظراً من الذهن الواعي . . وعلى ذلك فإن الأحلام- التي هي لغة اللاشعور- لا تتطلع إلى الخلف فقط ولا تعبر عن الرغبة في تحقيق رغبات مكبوتة فحسب . . وإنما هي أيضاً تتطلع إلى الأمام . . إنها رسالة من اللاشعور الحكيم البعيد النظر المسلح بكل خبرة وتجارب وثقافة الجماعة تهدف إلى تحقيق النظام في حياة الحالم وترشده إلى الاتجاه الذي يحسن به أن يسلكه .

وهكذا وسع يونج مجال الحلم توسيعاً كبيراً ولم يجعله قاصراً على المجال الجنسي والرغبات المكبوتة كما فعل فرويد . . وقد اختلف الرجلان وافترقا حول هذه النقطة بالذات . . ومع ذلك فقد ترك كل منهما مئات الصفحات حول ظاهرة الأحلام وتشكل آراءهما وجهة نظر العلم الحديث في هذه الظاهرة .

فالأحلام- حسب المدرسة الحديثة سواء طبقاً لفرويد أو يونج- تنبع من الداخل . . من اللاشعور أو العقل الباطن . . في حين أن القدماء كانوا يتصورون أن الأحلام تأتي من الخارج . . فالحلم أشبه برسالة تبعث بها الآلهة أو الشياطين إلى الحالم عن طريق أشباح تشترك في تمثيل أحداث الحلم . وإذا استطاع الإنسان أن يفسر رموز هذه التمثيلية فإنه يحصل على فحوى الرسالة أو المعلومات التي أرادت القوى الخارجية إرسالها إليه .

الإغريق . . مثلاً . . كانوا يتصورون أن آلتهم لا هم لها سوى مراقبة البشر والعبث بهم . . وكثيراً ما كانت هذه الآلهة تستخدم الأحلام للتدخل في شئون البشر سواء بالخير أو الشر : فنقرأ في "الألياذة" التي وضعها الشاعر هوميروس أن زيوس كبير الآلهة أراد أن يعاقب الملك أغاممنون على أخطاء ارتكبها فأرسل إليه حلماً رائفاً على غزو طروادة ويؤكد له أن الوقت قد حان لهذا الغزو لأن كل الآلهة متحدون في جانبه ويمكنه أن يثق في النصر .

وإستيظ أغامنون وهو أشد ما يكون ثقة في إمكان الاستيلاء على طروادة بيسر . . وجمع مجلسه الحربي حيث أطلع مستشاريه على الحلم . . فأيدوه جميعاً . . وهكذا بدأت حرب طروادة التي ثبت أنها على عكس ما يوحي به الحلم كانت حرباً طويلة مدمرة تدخلت فيها الآلهة- حسب ما تقول الملحمة- مراراً إلى هذا الجانب أو ذاك لتزيد من اشتغال الحرب ومرارة العدوان .

ومنذ البدايات الأولى للحضارة البشرية اعتبرت الأحلام عظيمة الأهمية فنجد مثلاً ملحمة جلجاميش التي وضعت في بابل منذ ٤ . . سنة مليئة بالأحلام والكوابيس التي تؤثر على سير الأحداث وتتراءى في هذه الأحلام الشخصيات الأسطورية والحيوانات الخرافية التي لا تتوقف عن بعث الرسائل إلى جلجاميش وصديقه أنكيدو .

فالقدماء كالمحدثين أدركوا أهمية الأحلام واعتبروا أنها تحمل معلومات أو رسالة ما بالرغم من اختلاف مصدر هذه الرسالة بين الفريقين . . وزاد القدماء على ذلك أن الأحلام تحمل تنبؤا بالمستقبل وأن التفسير الصحيح للحلم يمكن أن يؤثر في مجرى التاريخ .

وأبرز مثال على ذلك حلم يوسف الصديق الذي تنبأ له بطريقة رمزية بارتفاع شأوه ارتفاعاً عظيماً . . حيث شاهد الشمس والقمر والنجوم ساجدات له . . وقد تحقق ذلك بالفعل بالرغم من الظروف العصيبة التي تعرض لها . كما برع يوسف في تفسير الأحلام داخل السجن مما لفت إليه انتباه الملك فدعاه إلى تفسير حلمه الغريب المخيف الذي فشل في تفسيره مستشارو الملك وسحرته . . وفي هذا الحلم شاهد الملك سبع بقرات سمان تفتك بهن سبع بقرات عجاف . . كما شاهد سبع سنابل عجفاء من القمح تحل محل سبع سنابل مليئة نضرة . . وفسر يوسف الحلم بأن البلاد ستشهد سبع سنوات من الرخاء تعقبها سبع سنوات من المجاعة . . وأوصى بأن يخزن القمح في سنوات الرخاء ليكون زاداً في سنوات الشدة والقحط . . وبذلك استطاع المصريون أن يتجنوا المجاعة التي حدثت كما تنبأ يوسف بالضبط .

ومعظم سجلات الأحلام في العالم القديم تتكون أساساً من أحلام حدثت للملوك . . ربما اعتقاداً من القدماء بأن الآلهة أكثر استعداداً للاتصال بالملوك لا البشر العاديين . . فنقرأ مثلاً

عن حلم رآه الملك خوفو ـ أحد ملوك الأسرة الرابعة في مصر ـ دعاه إلى بناء الهرم الأكبر . وحلم رآه الملك نبوخذ نصر ـ أحد ملوك بابل في القرن السادس قبل الميلاد ـ تنبأ بزوال ملك نبوخذ نصر وجنونه في أواخر حياته . وأحلام كثيرة لملوك آخرين أوحت إليهم بأن ملكهم مهدد بالخطر نتيجة لميلاد طفل معين فحاولوا عبثاً قتل جميع الأطفال من هذا المصير .

وإذا كنا نحزو إلى فرويد فضل اكتشاف وجود علاقة بين الأحلام وبين الصحة النفسية والجسدية للإنسان . . فإن هذا الفضل ليس جديداً إذ اكتشف القدماء هذه العلاقة منذ الحضارات الأولى لمصر وبابل وبلاد الإغريق . . فكانت تقوم في شتى أنحاء العالم القديم معابد للشفاء عن طريق الأحلام . . ففي مصر كانت معابد امحوتب وفي بلاد الإغريق معابد اسكلبيوس مخصصة لهذا الغرض . . إذ يقيم فيها المريض عدة أيام يمتنع خلالها عن أكل اللحوم والخمر والاتصال الجنسي مع أداء صلوات معينة والخضوع لنظام صارم تحت إشراف الكهنة . وفي النهاية يحلم المريض بإلة الشفاء يتراءى له في المنام فيبرئه من مرضه على الفور أو يصف له دواء معيناً . وكانت مثل هذه المعابد منتشرة بالمئات في مختلف الأنحاء وهي أشبه بالعيادات الطبية الآن . . إذ كان الطب يزاول خلالها ممتزجاً بالإيحاء النفسي الشديد .

ويقال أن الطبيب الإغريقي جالينوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي تلقى نصيحة في الجراحة أثناء الحلم . . إذ حلم مرتين أنه إذا قطع الشريان الواصل بين السبابة والإبهام فإن ذلك يشفي الألم في منطقة الكبد . . وأجرى جالينوس هذه الجراحة بنجاح على مرضى الكبد فشفوا من آلامهم . . وكان جالينوس يقول أنه لا فضل له في اختراع هذه الطريقة وإنما أوحت بها إليه الآلهة في الحلم . . وإذا كان جالينوس قد عاش في العصر الحديث لعلم أن هذه المعلومات أوحي بها إليه عقله الباطن أثناء الحلم كما حدث لكثيرين من العلماء والأدباء والأطباء المحدثين الذين توصلوا إلى اكتشافاتهم الباهرة أثناء النوم حيث يعمل العقل الباطن بنشاط في حل المعضلات التي يعجز عنها العقل الواعي أثناء اليقظة . . وستكون لنا عودة إلى هذه النقطة فيما بعد .

أما الفيلسوف الإغريقي أرسطو الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد فقد رفض نظرية أن الأحلام لها أية دلالة دينية أو فلكية أو خارقة للمألوف وقبل فقد أن الأحلام قد تكون لها

علاقة بالحالة الصحية . . وذلك لاعتقاده أن الذهن في حالة النوم لا يتأثر بالمؤثرات الخارجية ويكون أكثر تركيزاً على الأحاسيس الداخلية . . وسخر من فكرة أن الأحلام ذات طبيعة مقدسة لأنها من وحي الآلهة مشيراً إلى أن الحيوانات أيضاً تعرف الأحلام أثناء النوم . . ويعد أرسطو هو واضع الأساس الفكري للحضارة العقلية العلمانية للغرب الحديث . . أما أستاذه أفلاطون فقد اختلف معه حول نظرته إلى الأحلام . . وقال أن بعض الأحلام على الأقل ذات طبيعة مقدسة . . ومع ذلك فقد وضع أفلاطون نظرية أن بعض الجوانب المكبوتة في الشخصية تظهر في الأحلام . . وبذلك سبق فرويد في هذا القول بأكثر من ٢٣, . سنة . وهناك عبارة شهيرة كتبها أفلاطون في محاورته . . "الجمهورية" تقوم أنه حتى أحسن الرجال توجد في أعماقهم طبيعة متوحشة خارجة على القانون وهي تظهر أثناء النوم . . . هذه العبارة يمكن أن نتصور وجودها بنصها في كتاب فرويد "تفسير الأحلام" .

وهناك متنبئ روماني يدعى ارتميدورس عاش في القرن الثاني الميلادي قام بسفريات واسعة زار خلالها معابد العلاج بالأحلام . . والتقى بمفسري الأحلام . . وجمع المخطوطات القديمة التي تتحدث عن تفسير الأحلام وكل المعلومات المتعلقة بالموضوع في زمنه . . ووضع من كل ذلك كتاباً ضخماً أسماه "أونهيركريتيكا" أي "تفسير الأحلام" قدم فيه تبويباً وتفسيراً للأحلام يتفق إلى حد كبير مع الأفكار الحديثة . . فقد قسم ارتميدورس الأحلام إلى خمسة أنواع : الرمزية (مثل حلم فرعون بالبقرات وسنابل القمح) والتنبؤية (إلهام مقدس) والخيالية (تحقيق رغبات) والكوابيس والأحلام العادية المتأثرة بأحداث اليوم . كما فرق بين الأحلام التي توحي بها ظروف فسيولوجية أو تكون نتيجة لمشاغل الحياة . وبين الرؤى ذات الطبيعة الرمزية العميقة والتي توحي بأحداث المستقبل . وقد وضع يونج فيما بعد تفرقة مشابهة بين الأحلام العادية والأحلام العظيمة .

وكان تفسير الأحلام قبل ارتميدورس يعتمد على تفسير رموز معينة تفسيراً آلياً . . فكل رمز له معنى محدد بغض النظر عن شخصية الحالم أو ظروفه . . ارتميدورس قال أن هذا التفسير الآلي لا قيمة له ويجب أن يفسر الحلم في ضوء شخصية الحالم وظروفه في الحياة . وهذا المدخل يقترب كثيراً من طريقة التحليل النفسي الحديثة في تفسير الأحلام .

ومن المبادئ القديمة في تفسير الأحلام التي قام بها ارتميدورس أن الحلم يفسر بعكسه . . فالحلم بوفاة أخ يعني اختفاء عدو أو التغلب على ظروف صعبة . . والحلم بالمرض يعني الصحة والحياة الطويلة . . والحلم بالكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات يفسر بتغير الظروف إلى الأحسن .

وهذا الاعتقاد في أن الحلم يعني عكسه لا نجده في معظم الكتب القديمة فحسب وإنما هو شائع إلى الآن في الدراسات الأنثربولوجية الحديثة . . وفي عام ١٩٢٦ قام الباحثان الأنثربولوجيان هدجسون وروز بدراسة عن تفسير الأحلام في إحدى القبائل الإفريقية في نياسالاند ووجدا أن فكرة المعنى العكسي للحلم ليست سوى واحدة من المشابهات الكثيرة بين أفكار هذه القبيلة وأفكار ارتميدورس حول رموز الأحلام . فمثلاً يقول ارتميدورس أن الحلم بنار في السماء معناه المجاعة أو الحرب وكذلك الأفريقيون يعتقدون أن النار في الحلم تعني الحرب . . ويقول ارتميدورس أن الحلم بفقد سن معناه موت أحد أعضاء الأسرة وكذلك يفسر الأفريقيون نفس الحلم بفقدان زوجة أو ولد . . والحلم بالفيضان لدى ارتميدورس يدل على خسارة قضية أو سوء معاملة الرؤساء وله أيضاً نفس المعنى لدى الأفريقيين .

إن مثل هذه المشابهات تدل على أن الذهن البشري في مختلف العصور والثقافات يفرز تلقائياً نفس الرموز والأفكار تعبيراً عن نفس التجارب العميقة ونفس المخاوف والرغبات . إن كتب تفسير الأحلام القديمة لدى الهنود والعرب والصينيين واليابانيين تؤيد هذه النتيجة . . كما تدل على أن شعوب مختلف الحضارات قدرت تجربة الأحلام تقديراً كبيراً . . وحارت أمرها كثيراً . . واعتبرتها مفتاحاً لحقائق عميقة في الحياة البشرية .

الأحلام في معامل العلماء:

أثبتت الأبحاث الحديثة على النوم أن الإنسان في حاجة إلى قدر معين من الأحلام كل يوم كي يحتفظ بتوازنه الصحي والنفسي . وإن كل إنسان بلا استثناء يحلم بانتظام . . والذين يقولون انهم لا يحلمون مخطئون . . كل ما في الأمر أنهم لا يتذكرون أحلامهم .

وقد دخلت الأبحاث على الأحلام مجال التجارب المعملية حديثاً . . ففي عام ١٩٥٣ لاحظ بعض العلماء في جامعة شيكاغو الأمريكية أن النائم يحرك أثناء الحلم عينيه حركة

سريعة تحت جفونه . . فاخترعوا جهازاً إلكترونياً دقيقاً يسجل هذه الحركة السريعة التي تقوم بها العينان أثناء الحلم . . ويترجمها إلى ذبذبات على الورق على النحو المتبع في تسجيل ضربات القلب . وهذا الجهاز يتصل بأسلاك تثبت في رأس النائم وتنقل النبضات الكهربائية للمخ . . وقد لوحظ أن هذه النبضات تختلف أثناء حركة العينين ـ أي أثناء الحلم ـ عنها أثناء النوم العادي .

ودلت الأبحاث على أن هناك ما لا يقل عن أربع مراحل للنوم تتدرج ما بين النوم العميق والنوم الخفيف . . فالمرحلة الأولى هي أخف مرحلة وهي التي تجاور اليقظة مباشرة سواء في بداية النوم أو عند نهايته . . وتليها المرحلة الثانية وهي أكثر عمقاً منها . . ثم المرحلة الثالثة وهي أعمق بدورها من الثانية وأخيراً المرحلة الرابعة وهي أعمق مراحل النوم .

وعادة ما يصل النائم إلى المرحلة الرابعة ـ أي النوم الشديد العمق ـ بعد ١٥ دقيقة من إغلاق عينيه . . ويستمر في هذه المرحلة مدة ,٨ أو ,٩ دقيقة . . ثم يبدأ العودة خلال المراحل الثلاث الأخرى ٣ ثم ٢ ثم ١ . . وفي هذه المرحلة الأولى ـ رقم ١ ـ تحدث الأحلام إذ تدل عليها حركة العينين تحت الجفون . . وتستمر هذه المرحلة مدة دقيقة ثم يأخذ النائم يغوص في أعماق النوم مرة أخرى حتى يبلغ المرحلة الرابعة . وعادة ما تتكرر عملية الهبوط والصعود عبر هذه المرحلة أربع أو خمس مرات أثناء الليل أي خلال مدة نوم تستمر سبع ساعات . . وفي كل مرة تأخذ فترة النوم العميق ـ المرحلة ٤ ـ تقل وفترات النوم الخفيف تزداد إلى أن يقترب الصباح . . فتطول ـ المرحلة رقم ١ ـ التي تسبق اليقظة وهي التي يتذكر النائم أحلامها بوضوح . أما أحلام المراحل الأولى السابقة فعادة ما ينساها النائم بسبب فترات النوم العميق التي تتلوها .

هذه بالتبسيط هي خريطة النوم والأحلام كما سجلتها الأجهزة المعملية الحديثة التي تقيس نبضات المخ أثناء النوم .

فائــدة الأحــلام:

لاحظ الباحثون أنه إذا أوقظ النائم أثناء اختلاج العينين– أي خلال المرحلة الأولى فإنه يتذكر حتما أنه كان يحلم . فإذا حرم النائم من الأحلام خلال عدة ليال متعاقبة بأن يتم إيقاظه كلما بدأ اختلاج العينين أو كلما سجل جهاز نبضات المخ ذبذبات المرحلة الأولى . . فإن هذا

الشخص يحاول أن يعوض ما فاته من الأحلام بأن يبقى في المرحلة الأولى أو الثانية أكبر مدة ممكنة ولا يغوص إلى المرحلة الرابعة التي تمتنع فيها الأحلام . . ومثل هذا الشخص إذا ظل يحرم من فرصة الحلم نهائياً عدة أيام متعاقبة فإن سلوكه أثناء اليقظة يتأثر بشدة . . فيبدو عليه أثناء اليوم التعب والتوتر وفقدان الذاكرة وعدم القدرة على التركيز مما يوضح أن الأحلام تلعب دوراً أساسياً في الصحة النفسية والبدنية للإنسان . والنوم وحده- بدون أحلام- غير كاف للحصول على الراحة التامة .

قبل أن يدخل النائم مرحلة اختلاج العينين يميل إلى التقلب في فراشه . . فإذا دخل هذه المرحلة سكنت حركة جسمه وتراخت عضلاته . . كما لو كان قد استقر في كرسي مريح داخل المسرح لمشاهدة العرض . . ولكن بالرغم من استرخاء الحالم على هذا النحو فقد لوحظ أن بعض العضلات تبدي نشاطاً خفيفاً . . وهذا النشاط غالباً ما يكون متصلاً بأحداث الحلم . . ففي إحدى الحالات . . مثلاً . . سجلت الأجهزة نبضات كهربية في الذراع اليمنى للشخص محل التجربة . . ثم في الذراع اليسرى . . وأخيراً في الرجلين . وعندما أوقظ هذا الشخص قال أنه كان يحلم بأنه رفع دلوا بيده اليمنى ثم نقله إلى يده اليسرى ثم بدأ في المشي . . وفي حالات أخرى قال الأشخاص محل التجربة أنهم كانوا يسمعون شيئاً أثناء الحلم . . وسجلت الأجهزة بالفعل نشاطاً كهربياً في عضلات الأذن الداخلية أثناء نومهم .

وفي سلسلة أخرى من التجارب تبين أن حركات عين النائم تتأثر بالصور التي يراها في الحلم . . فإذا كانت حركات العين أفقية فإن الحالم يكون في ذلك الوقت ينقل ناظريه بين شخصين يراهما في الحلم فإذا كانت حركة العين رأسية يكون الحالم مثلاً يحلم بأنه يصعد أو ينزل على سلم . . وهذا يدل على أن المخ لا يفرق بين الصور المتخيلة في الأحلام والصور الحقيقية التي يراها في اليقظة . . فنحن (نرى) أحداث الحلم تماماً كما نرى أحداث اليقظة باستخدام حاسة النظر الداخلية . . وكذلك فإننا نستخدم الحواس الداخلية الأخرى في السمع واللمس وأحياناً الذوق أثناء أحلامنا . . ولكن بالرغم من أن المخ يستجيب للمعلومات القادمة من الأحلام كما يستجيب لتلك القادمة من العالم الحقيقي إلا أن رد فعله لا يكون واحداً في الحالتين . . فهو في الأحلام لا يأمر الأعضاء بالتصرف كما لو كان هناك جهاز داخلي فيه يقول

له "هذا مجرد حلم فلا داعي لاتخاذ إجراء" ولكن هذا الجهاز لا يعمل بانتظام دائماً . . أنه يفشل أحياناً في منع ردود الأفعال . . وفي مثل هذه الحالات يتقلب الحالم ويحرك أعضاءه بل وأحياناً يتكلم ويمشي أثناء النوم .

الأحلام الشفافة:

إن تجربة الأحلام غالباً ما تدعو الناس ذوي الأذهان الفلسفية إلى التساؤل : ما هي الحقيقة؟ ألا يحتمل أن يكون العالم الذي نسميه حقيقياً هو نوع من الحلم؟ ألا يبدو حقيقياً فقط لأن أغلبية الناس تتفق على ذلك؟! .

كتب فيلسوف صيني يدعى شوانج ـ تزو عاش في القرن الثالث قبل الميلاد يقول : ذات ليلة حلمت أنني فراشة تطير هنا وتخفق هناك سعيدة لكونها فراشة . . . ثم استيقظت وعدت مرة أخرى شوانج ـ تزو . . أم شوانج ـ تزو يحلم أنه فراشة؟ .

هذا التساؤل من الفيلسوف الصيني يلفت الأذهان إلى نوع معين من الأحلام أدهش بعض الباحثين المحدثين وأسموه بالأحلام الشفافة . . في مثل هذه الأحلام يشعر الشخص أنه يحلم بالفعل . . ويبدو له الحلم حياً دقيقاً كما لو كان في عالم اليقظة كل ما في الأمر أنه يحوي عنصراً غريباً يجعل الحالم يتحقق من أنه يحلم . . كأن يشاهد في حلمه مثلاً طائراً يخترق حائط . . فيقول في نفسه هذا لا يحدث في الحياة الواقعية لابد أنني أحلم .

والصورة العكسية موجودة في الحياة أيضاً . . فكثيراً ما تصدمنا أو تدهشنا أشياء حالة يقظتنا فنقول في أنفسنا "هل هذا حلم أم علم" وأحياناً يقرص الإنسان نفسه ليتأكد من أنه لا يحلم .

وقد تخصصت الباحثة البريطانية سيليا جرين من معهد الأبحاث النفسية بجامعة اوكسفورد بإنجلترا في دراسة هذا النوع من الأحلام . . ووضعت كتاباً أسمته . . "الأحلام الشفافة" وهذه الأحلام ـ كما تقول الباحثة ـ تختلف عن الأحلام العادية في أنها واقعية إلى حد كبير وليست رمزية أو لا معقولة . . وفي "الحلم الشفاف" يشعر الحالم أنه يحلم بالفعل ويستطيع أن يسيطر إلى حد معين على تطور الحلم بل وأن يضعه موضع التجربة . . كما قد يحتفظ أثناء الحلم بكل ذكرياته وتصرفاته التي يملكها في حالة اليقظة العادية .

وكثيراً ما يسبق "الحلم الشفاف" يقظة زائفة تؤدي إلى الخلط بين عالمي الحلم والحقيقة . . وفي المثال التالي أبدى الحلم شجاعة فائقة في اختبار اعتقاده أنه يحلم . . قال صاحب التجربة- التي أوردتها الباحثة سيليا جرين- أنه حلم أنه استيقظ هو وزوجته من النوم وارتديا ملابسهما وأخذ يباشران حياتهما الواقعية كالمعتاد ولكن عندما فتحا شباك غرفة النوم اكتشفا شيئاً غريباً . . إذ اختفى صفان من المنازل أمام منزلهما . . وظهرت مكانهما حقول خضراء . . فقال لزوجته : هذا يعني أننا نحلم رغم كل شئ حلونا يبدو حقيقياً كاليقظة تماماً . . فإن هذه البيوت لا يمكن أن تختفي في ليلة واحدة وتظهر مكانها حقول مزروعة! . وبالرغم من أن زوجتي أبدت دهشتها الشديد إلا إنني لم استطع أن أقنعها بأن ما نشاهده ما هو إلا حلم فقلت لها : حسنا سوف أثبت لك أنه حلم . . إنني سأقفز من الشباك وسوف ترين أنني لن أصاب بسوء! وبالرغم من اعتراضات زوجتي وتوسلاتها لي بأن لا أفعل . . فتحت الشباك على مصراعيه ووقفت على افريزه ثم قفزت منه حيث هبطت بهدوء وبطء إلى الشارع . . وعندما لامست قدمي الرصيف استيقظت من النوم! .

من المهم هنا أن نلاحظ أن المنظر خارج الشباك بدا للحالم غريباً لأنه يحتفظ من حالة اليقظة بذكرى ما يجب أن يكون عليه هذا المنظر في الواقع كما أن حواسه تعمل كما لو كانت في حالة اليقظة تماماً . . فالحلم الشفاف يبدو واقعياً إلا في جانب واحد منه . . وهذا الجانب يفطن له الحالم فيعرف أنه يحلم .

تجديد خلايا المخ:

إن دورات النوم ذات الأحلام أي التي تصحبها حركة العين وغير ذات الأحلام أي العميقة التي تنتمي إلى الدرجة الرابعة أو الثالثة تمر أيضاً بالحيوان كالإنسان . . الأمر الذي دعا علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا بل وعلماء الكومبيوتر إلى الاجتهاد في تقديم تفسيرات لطبيعة هذه الدورات ووظيفتها .

ومن أشهر النظريات في هذا الصدد أن دورات النوم الخالية من الأحلام تساعد على نمو وتجديد خلايا الجسم في حين أن دورات النوم ذات الأحلام تقوم بتجديد خلايا المخ بقول دكتور

ايان أوزوالد من جامعة ادنبرة أنه أثناء النوم الخالي من الأحلام أي في المرحلتين الثالثة والرابعة تفرز عدد الجسم هرمونات النمو في الدم وهي التي تقوم بإصلاح وتجديد أنسجة الجسم . وقد لوحظ أن هذه العملية تتوقف فجأة بمجرد أن تبدأ دورة الأحلام . . وأكثر من ذلك فإن دورات الأحلام تزيد في حالة المرضى الذين يتماثلون للشفاء بعد تناول كميات زائدة من العقاقير أو المخدرات وأيضاً في حالة الأطفال الذين يولدون قبل موعد الولادة الطبيعية وبالذات خلال الأسابيع التي تمر قبل هذا الموعد . . وهذا يوحي بأن عملية إصلاح المخ بالنسبة لمرضى المخدرات وعملية نمو المخ بالنسبة للأطفال المولودين قبل الميعاد تتمان خلال دورات النوم ذات الأحلام . ويؤكد ذلك ما لوحظ من أن المرضى العقليين والمتقدمين في السن إلى درجة خرف الشيخوخة تقل لديهم جداً أو تنقطع دورات النوم ذات الأحلام وذلك نتيجة توقف الحاجة إلى إصلاح خلايا المخ لديهم .

وهكذا فإن الأحلام تلعب دوراً لا غنى عنه في حفظ التوازن النفسي والذهني . . ومن هنا كانت الأمنيات بالأحلام السعيدة من أغلى الأمنيات التي يتمناها المرء لنفسه وأحبائه .

ولكن ماذا عن الأحلام الأخرى التي تمكن الحالم من تخطي حدود المكان أو الزمان . . أو تلك التي يحصل خلالها الحالم على معلومات لا تتاح له بالطرق العادية الأخرى . . إن لها حديثاً آخر . . .! .

ألوان من الأحلام:

عندما مات الشاعر الإيطالي الشهير دانتي تبين أن تحفته الشعرية الكبرى "الكوميديا الإلهية" ينقصها ١٣ نشيداً ختامياً في الجزء الثالث والأخير "الفردوس" وبحث أصدقاؤه وأسرته عدة شهور عن الأناشيد الضائعة في كل مكان دون أن يعثروا عليها . . فاعتقدوا أنه ربما يكون الشاعر قد مات قبل إتمام هذه الأناشيد الختامية وبذلك ترك تحفته الرائعة بلا خاتمة .

وكان لدانتي ابنان هما جاكوبو وبييرو . . وكانا أيضاً شاعرين ولكن من طراز متواضع لا يقارن بمكانة أبيهما الرفيعة فطلب منهما الأصدقاء أن يحاولا إتمام هذه الأجزاء الناقصة . . فليس هناك بد من ذلك حتى إذا جاءت المحاولة قاصرة . . فالكوميديا يجب أن تتم .

وذات ليلة بينما كان جاكوبو نائماً جاءه في المنام الشاعر بوكاشيو وحذره من أن يرتكب مثل هذه الحماقة . . فمن هو حتى يتم عمل أبيه العظيم؟ وعلاوة على ذلك فإن هذه الأناشيد الثلاثة عشر قد كتبها دانتي بالفعل . . وانه سيريه مكانها .

وهب جاكوبو من النوم واندفع من فوره في منتصف الليل إلى منزل صديق قديم لأبيه يدعى بيير جاردينو وأبلغه أنه رأى في المنام أن الأجزاء الناقصة موجودة في حائط غرفة في منزل قديم . . وارتدى جاردينو ملابسه على الفور وقصد الاثنان إلى المنزل المذكور فأيقظا صاحبه- وكان الوقت لا يزال قبل الفجر- واصطحبهما الرجل إلى الغرفة التي كان يقيم فيها دانتي أحياناً وهناك شاهد جاكوبو حصيرة على الحائط المشار إليه في الحلم فأبعدها عن مكانها . . وكان وراءها فجوة شباك صغير عثرا في داخلها على مجموعة من الأوراق التي كادت تتآكل بفعل الرطوبة وعندما نظفت الأوراق تبين أنها الأناشيد الثلاثة عشرة الناقصة من الكوميديا الإلهية .

هذه الحادثة المعروفة في التاريخ الأدبي تشير إلى نوعية من الأحلام يمكن تسميتها بأحلام "الاستبصار" أو "الروية عن بعد" وفيها يحصل الحالم على معلومات كان من المستحيل أن يحصل عليها بطريقة أخرى . والمعروف أن الاستبصار نوع من "الإدراك خارج نطاق الحواس" أو ما يطلق عليه الحاسة السادسة . . وهو كما يحدث في اليقظة يمكن أن يحدث أثناء النوم .

تليبباثي الأحلام:

وهناك خاصية أخرى من الإدراك خارج نطاق الحواس هي التخاطر بين ذهنبن أو ما يسمى "التليباثي" وهي قد تحدث أيضاً أثناء النوم . . فيحلم شخصان نفس الحلم في نفس الوقت . . كما لو كانا يشاركان في حلم واحد . . ومثل هذه الأحلام "التليباثية" تحدث في حالة وجود علاقة وثيقة بين الشخصين كالمحبة والقربى والصداقة القوية . . وإذا استطعنا تذكر الأحلام التي نرى فيها أشخاصاً نعرفهم وسألنا هؤلاء الأشخاص عن أحلامهم سوف نجد كثيراً من هذه "الأحلام التليباثية" ولكن المشكلة أننا لا نتذكر معظم أحلامنا . . وإذا تذكرنا فإن الطرف الآخر لا يتذكر . . علاوة على أننا لا نجشم أنفسنا عناء سؤال الآخرين عن أحلامهم وهكذا تمضي الأحلام التليباثية أو اللقاءات في الأحلام دون أن نفطن إليها .

وقد فطن بعض المحللين النفسانيين بصفة خاصة إلى هذا النوع من الأحلام بطريق الصدفة . . إذ يحدث أن يحكي المريض لمحلله النفساني حلماً رآه فيه فيتذكر المحلل أنه رأى نفس الحلم أو شارك فيه .

وهناك قصة تحكى عن القديس المسيحي "أوجستين" تقول أن رجلاً سأله حل بعض شكوكه الفلسفية . . فاستمهله أوجستين ورفض أن يجيبه على الفور . . وفي الليلة التالية بينما كان الرجل في حالة يقظة تامة تراءى له أوجستين كأنه يدخل عليه ويجيبه على ما يحيره ثم انصرف على الفور . . وفي اليوم التالي ذهب الرجل إلى الفيلسوف القديس ليشكره على مجيئه إليه ورده على أسئلته . فقال أوجستين : إنني لم أحضر إليك كما تقول ولكنني في الواقع حلمت أنني أؤدي لك هذه الخدمة! .

ففي هذه الحالة هناك نوع من التخاطر المتبادل بين الفيلسوف الذي شعر أثناء الحلم أنه يذهب إلى الرجل . . وبين الرجل الذي كان متيقظاً وحدثت له "رؤية تليباثية" خيل له فيها أنه يرى الفيلسوف وأنه يحدثه .

الأحلام والإلهام:

وكثير ما تكون الأحلام مصدر إلهام للعلماء والأدباء والمفكرين . وكم من المعضلات العلمية والفلسفية والرياضية حلت عن طريق الإلهام في الأحلام .

فقد كان الروائي الإنجليزي تشارلس ديكنز يحلم بشخصيات وعقد رواياته الشهيرة . . ولا يكون عليه في الصباح سوى أن يكتب الحلم الذي رآه فإذا هو فصل من فصول الرواية التي يضطلع بتأليفها .

ويخبرنا العالم الرياضي العظيم اينشتاين بأنه كان يعتمد على الحدس في معادلاته الرياضية وأنه توصل إلى كثير من هذه المعادلات أثناء نومه عن طريق الأحلام .

ويقول سير فريدريك جرانت بانتنج مكتشف الأنسولين أنه فشل مراراً في تجاربه على استخلاص الأنسولين اللازم لعلاج مرض السكر . . وأخيراً سمع هاتفاً في المنام يبلغه أن يستخلص الأنسولين بطريقة معينة . . فدون هذه الطريقة على الفور وهو بين اليقظة والنوم . . وفي الصباح قرأ ما كتبه في المذكرة إلى جانب فراشه فإذا هو نصه "اربط قناة البنكرياس في

القلب ثم انتظر ستة أسابيع إلى ثمانية حتى تضمر ثم استأصل باقيها واصنع منه خلاصته" وأجرى سير بانتنج تجاربه على هذا الأساس حتى نجح في استخلاص الأنسولين . . وحصل على جائزة نوبل على هذا الاكتشاف الهام .

وهذه الإلهامات التي تأتي في الأحلام مصدرها العقل الباطن أو اللاشعور . فهذه المنطقة الهامة من ذهننا التي توصف بأنها تشبه الجزء المغمور من جبل الجليد الطافي وتبلغ تسعة أعشار الجبل بأكمله بينما العقل الواعي هو العشر الظاهر فقط . . هذه المنطقة تضج بالذكاء والعمل وليست لا واعية أو لا شعورية كما نسميها عادة . . إنها كذلك بالنسبة للعقل الواعي فقط . . ولكنها في الواقع أكثر وعياً منه وأكثر حضوراً وذكاء . . وفيها أرشيف الذاكرة وخلاصة التجارب التي مرت بناء بل وبالجنس البشري كله . . إنها أشبه بجهاز كومبيوتر هائل قادر على حل أعقد المسائل والمعضلات في لحظات . . وهذه الحلول يبعث بها العقل الباطن إلى منطقة الشعور أثناء الأحلام وأحياناً في لحظات التأمل الصافي . . وهي ما نسميها بالحدس أو الإلهام .

الحلم بالمستقبل:

إذا كانت بعض الأحلام التي تبدو إلهامية أو تنبؤية عبارة عن رسائل يبعث بها العقل الباطن . . فإن هناك أحلاماً أخرى تنبأ بأحداث تقع في المستقبل ولا علاقة لها بذكريات العقل الباطن وعملياته الحسابية .

من هذا النوع ما يحدثنا به القرآن الكريم عن صاحبي يوسف في السجن . . . ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

وجاء تفسير يوسف للحلمين . . ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2] .

ويدخل في هذا الباب أيضاً حلم الملك عن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات وهو الحلم الذي فسره يوسف الصديق بمقدم المجاعة وكيف يمكن مواجهتها .

---

(١) لسان العرب ـ مادة «سحر» ص ٤/ ٣٤٨ .

(٢) (صحيح سنن أبى داود ـ / ٩٤٥) .

وتنبأ الرئيس الأمريكي إبراهام لنكولن بمصرعه في حلم أنه قبل الحادث بأيام . . إذ حلم أنه دخل الغرفة الشرقية في البيت الأبيض فشاهد نعشاً قد ثوى فيه جسد فسأل عما يكون الميت فأخبروه أنه إبراهام لنكولن وأنه أصيب في صدره بالرصاص . وقد قص لنكولن هذا الحلم على المقربين منه عند يقظته . . وبعد أيام اغتيل لنكولن بالرصاص ووضع جسده في نعش داخل الغرفة الشرقية بالبيت الأبيض! .

وشاهد الكاتب الأمريكي مارك توين حلماً مشابهاً عن أخيه . إذا حلم أن أخاه الذي يعمل على سفينة قد مات في حادث بحر ووضع جسده في تابوت حمل على كرسيين داخل غرفة خالية وكان على صدره إكليل من الزهر الأصفر في وسطه وردة حمراء . . وفي اليوم التالي غرقت سفينة أخيه وعلم مارك توين لارتياحه أن أخاه ليس بين الغرقى وإنما أصيب فقط ونقل إلى المستشفى وقصد مارك توين إلى المستشفى حيث لازم أخاه الجريح ستة أيام ليلاً ونهاراً حتى هده التعب ولكن أخاه مات في اليوم السابع ونام مارك توين من شدة التعب عدة ساعات متوالية وعندما استيقظ اصطحبوه إلى غرفة خالية في المستشفى حيث شاهد نعش أخيه محمولاً على كرسيين . . نفس المنظر الذي رآه في الحلم فيما عدا الورد . . وبينما هو يفكر في ذلك أقبلت ممرضة تحمل باقة من الزهور الصفراء في وسطها وردة حمراء كبيرة ووضعتها فوق النعش . . وبذلك تحقق الحلم بكل تفاصيله! .

وكان السيد وليم للي " William Lilly" الكاتب الإنجليزي المشهور يعتقد أن نفس الإنسان تتحرر من جسده وهو نائم فتطلع على أمور تعجز عن الاطلاع عليها في يقظته وتنبئ بالمستقبل كأنه من الحوادث الماضية . . ومن أحلامه التي قال عنها أنها نقلت بسند صحيح والتي ذكرها في أحد أعداد مجلة القرن التاسع عشر نقتطف ما يلي :

الحلـــم الأول:

كتبه السرجون درمسند هاي الذي كان قنصلاً جنزالاً لبريطانيا العظمى في المغرب الأقصى (مراكش) وبعث به إلى الأستاذ ميرس فنشره في كتابه الذاتية الإنسانية Human Personality قال فيه :

"كان ابني روبرت درمند هامي سنة ١٨٧٩ مقيماً في السُّويراءِ هو وأهل بيته حيث كان قنصلاً لدولته وكتب أعلم أنه على تمام الصحة . وذات يوم من شهر فبراير (وقد نسيت الآن أي

يوم هو من الشهر) في الساعة الأولى بعد نصف الليل سمعت صوت كنتي امرأته وكانت معه في السُّويراءِ تقول بنغمة المتحسّر المستغيث اواهُ لو سمع حميٌّ بمرض ابنه . وكنت نائماً بملء عينيٌّ فاستيقظت حالاً وكان في غرفتي مصباح صغير فجلست والتفت إلى ما حولي فلم أر أحداً غير زوجتي وكانت نائمة في سريرها . فأصغيت بضع ثوانٍ منتظراً أن أسمع صوت أحد ماشياً خارج الغرفة ولكنني لم أسمع صوتاً بل كان السكوت تاماً فاستلقيت وأما اشكر الله حاسباً أن الصوت الذي سمعته إنما هو من أضغاث الأحلام . ولكن لم أكد أغمض عينيٌّ حتى سمعت ذلك الصوت ثانية فأيقظت زوجتي وأخبرتها بما سمعت وقمت إلى مكتبي وكان إلى جانب غرفة النوم وكتبت ذلك في يوميتي . وفي الصباح قصصت ما سمعت على ابنتي وقلت لها إنني لا أصدق الأحلام ولكنني أشعر الآن بقلق شديد وانتظر بفارغ الصبر ورود البريد من السُّويراءِ والسُّويراءِ على ٣ ميل من طنجة حيث كنت . وبعد بضعة أيام جاء كتاب من كنتي تخبرنا به أن ابني كان مريضاً جداً بالتيفويد وذكرت ليلة أصابه فيها الهذيان فكانت الليلة التي سمعت فيها صوتها . وكتبت إليها حينئذ أخبرها بحلمي فأجابتني مع البريد التالي أنه لما اشتد قلقها على زوجها وهي غريبة في تلك البلاد نطقت بالألفاظ التي أيقظتني من نومي" . ثم قال مخاطباً الأستاذ ميرس "وقد ترغب في أن ترى تأييداً لهذا الخبر من الذين ذكرتهم فيه فقد وقّعوا عليه مؤيدين صحته كما ترى . ولما استعفيت من منصبي سنة ١٨٨٦ أتلفت كثيراً من يومياتي وبينها يومية سنة ١٨٧٩ ولولا ذلك لاستطعت أن أذكر اليوم الذي سمعت الصوت بالضبط التام ولأرسلت إليك الورقة التي كتبت فيها ما كتبت" ويلي ذلك توقيعه وتوقيع زوجته وابنته وكنته .

الحلم الثانــي (نشره الأستاذ ميرس وهذه خلاصته):

"ذهبت من أكسفورد نحو سنة ١٨٤٨ إلى لندن لأقيم مع أخي أكتون يوماً أو يومين فلما وصلت إلى منزله وجدت على مكتبه ورقة يعتذر بها عن غيابه ويقول أنه دُعي إلى ليلة راقصة وسيعود منها بعد نصف الليل بساعة فلم أشأ أن أخلع ثيابي وأنام بل جلست في كرسي كبير منتظراً رجوعه وران الكرى على عيني فنعست ونمت ولكنني استيقظت عند الساعة الثامنة تماماً

وأنا أقول بالله لقد وقع . فإني رأيت أخي خارجاً من غرفة استقبال إلى دار ساطعة النور وقد علقت رجله بدرجة من درج السلم فسقط واستلقى الأرض بذراعيه ولم أكن أعرف البيت الذي كان فيه ولا أعرف أين هو فلم أعبأ بما خُيّل لي بل أغفوت ثانية نحو نصف ساعة ثم استيقظت بصوته وقد دخل وهو يقول : هل أنت هنا لقد وقعت وكدت أدق عنقي فإني كنت خارجاً من غرفة الرقص فعلقت رجلي ووقعت على السلّم . هذا كل ما حدث وقد يكون حلماً ولكنني ظننته دائماً أكثر من حلم" .

الحلــم الثالــث:

كان البابا بسكال الأول يبحث عن جسد الشهيدة سيسليا التي استشهدت في عهد البابا اربانوس الأول في أوائل القرن الثالث المسيحي ولما أعياه البحث ولم يجد جسدها تولاه القنوط حاسباً أن اللمبرديين الذين غزوا البلاد أخذوه مع ما غنموه لأن سرقة آثار الشهداء كانت شائعة في ذلك العصر وران الكرى على أجفانه ذات يوم من شدة التعب فرأى في نومه عذراء جملية المنظر بثياب فاخرة قالت له أنها هي سيسليا ولامته لأنه يئس من وجود جسدها ثم أخبرته أن اللمبرديين حاولوا سرقته وفتشوا عنه فلم يجدوه وأكدت له أنه إذا واظب على البحث وجده . ففعل وكان كما قالت له فإنه وجده في مدافن كالكس ونقله إلى كنيستها وكان ذلك سنة ٨,٢ للميلاد .

الحلــم الرابــع:

كتبت زوجة الأستاذ لويس أجاسز الطبيعي المشهور في تاريخ حياتها بعد وفاته تقول ما خلاصته أنه رأى آثار سمكة متحجرة في قطعة من الصخر وكانت الآثار ناقصة فتعذر عليه تحقيق نوعها وبذلك جهده لكي يعرف ولما أعينه الحيل أهملها وكأنه يئس الوصول إلى ضالته وحاول أن يصرفها عن ذهنه لكنه حلم ذات ليلة أنه رأى تلك الآثار وكل الأجزاء الناقصة منها فتم بها شكل السمكة فأسرع في الصباح إلى معرض المتحجرات ونظر إلى آثار السمكة لعله يتصور شكلها كما رآه في نومه فلم يستطع . ثم رأى صورتها في الليلة التالية ولكنه نسيها في الصباح التالي كما نسيها أولاً . وفي الليلة الثالثة وضع قلماً وقرطاساً إلى جانب وسادته ونام

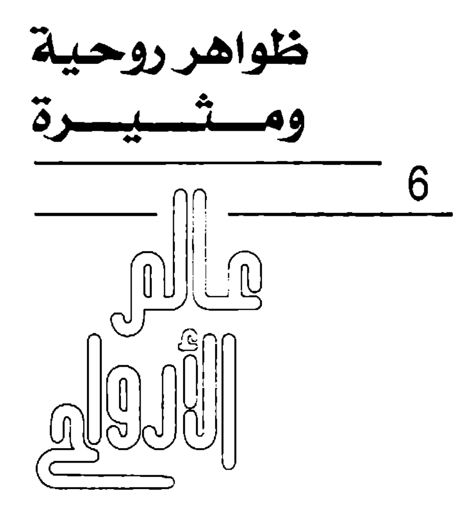
وقبل الفجر حلم بالسمكة ورأى صورتها واضحة فنهض حالاً ورسمها على القرطاس ولما أصبح الصباح ذهب بالصورة التي رسمها في نومه إلى معرض المتحجرات وقابل بين الصورة والأثر فوجد أن جانباً منه لا يزال مغطى بشيء من الحجر فنزعه بالأزميل وإذا الرسم وإذا الرسم كله مثل الصورة التي رآها في نومه .

الحلم الخامس:

حلمه المستر هجرد قنصل الإنجليز في تريستا وكتب به إلى الأستاذ ميرس في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٣ . . وقد قال فيه ما خلاصته حلمت أن قنصل ألمانيا الجنرال دعاني إلى العشاء في بيته فأدخلني إلى غرفة كبيرة فيها أسلحة من شرق إفريقيا رأيت بينها سيفاً كبيراً محلى بالذهب فقلت لقنصل فرنسا وكان مدعوًا للعشاء أيضاً أنى أظن هذا السيف هدية من سلطان زنجبار ودخل قنصل روسيا حينئذ وقال إن قبضة السيف صغيرة في جنب نصله ولما قال ذلك لاح بيده فوق رأسه كمن استلٌ سيفاً وأراد الضرب به . وحينئذ استيقظت من نومي وأخبرت زوجتي بحلمي . وبعد ستة أسابيع دعانا قنصل ألمانيا الجنرال للعشاء ودخلنا غرفة استقبال لم أدخلها من قبل ولكنني وجدني كأني كنت أعرفها وعلى حائطها أسلحة من شرق أفريقيا وبينها سيف محلًّى بالذهب وهو هدية من سلطان زنجبار . وحدث حينئذ كل ما رأيته في حلمي ولكنني لم أتذكر الحلم إلاّ حينما جعل قنصل روسيا يلوح بيده فوق رأسه فتذكرت الحلم حينئذ كما هو وأسرعت إلى زوجتي وكانت واقفة في غرفة أخرى متصلة بغرفة الاستقبال وقلت لها أتتذكرين حلمي عن أسلحة زنجبار فقال نعم وشهدت أمام الحضور بما قصصتهُ عليها لما حلمت الحلم فاستغربوا ذلك جداً . وقد شهد قنصل روسيا في تريستا بصحة ذلك .

■■■

ظواهر روحية ومثيرة



١ - أنشطة روحية مختلفة لإنقاذ قافلة ضالة:

نشرت مجلة المقتطف في عددها الصادر بالقاهرة في فبراير ١٩٤٥ وتحت عنوان "إلهامك الروحي قد يرفعك لحظات إليها" .

واقعة حدثت بالنص الآتي :

"هذه حادثة واقعية نرويها وسنذكر مصدرها وشخصيتها ولا يزالان معنا وفي عصرنا . . نطلب لها تحليلاً ممن يستطيع أن يحللها . . على ألا ترد إلى المجهول الذي هو في الواقع اعتراف بالعجز عن التحليل" .

كانا في الصحراء . . في جوف الصحراء الواسعة المترامية الأطراف . . سيد وسيدة كلاهما تلقى العلم في أرقى الجامعات وكلاهما يعرف أن الصحراء غول لا صديق لها . . نفد الماء وعلف الدواب . . ومعها رجال من الإدلاء والحراس . . والعمران قصي بعيد والاتجاه في أي متجه من غير علم به معناه الموت المحقق في جوف الرمال .

وكانا يبحثان عن واحة مجهولة قطعا إليها طريقاً غير مسلوك . . نزل بهما الهم وأخذ منهما ومن رجالهما القنوط . . فأنيخت الإبل وجلست القافلة في ذلك القفر لا مؤنس لها إلا الاعتقاد بأن الإرادة السرمدية نافذة فيهم لا محالة : فإما طريق إلى الدنيا وإما طريق إلى الآخرة .

حلم السيد حلماً . وهو يعد ممن لم يعكفوا على التصوف يوماً واحداً من أيام حياتهم . . حلم بامرأة بيضاء أو أنها تلبس البياض . . لم يستطع أن يصفها . . ولكنها تنبأت بما سوف يقع

وتكلمت ولكن بلغة الرموز . . ولكن هذا الحلم قد اتخذ أول الأمر موضع تسلية ومحل سخرية . . ولكن السيد أكد أن ما رأى ليس حلماً . . لقد كان أكثر من حلم أنها رؤيا تكاد تكون في يقظة غير تامة . . في صحوة عقل مضطرب من هول الموقف . .

وقفت تلك المرأة التي تراءت له إلى جانبه في الصحراء بمقربة من محط الرحال وكان يرى خيالها على الأرض في ضوء النجوم . . ورأى آثار قدميها في الرمال . . قالت له :

لا تنزعج . . سوف تصل . . ولكن عليك أن تقتحم ثلاثة حوائط قبل أن تصل . . وقبيل النهاية ستضطر إلى تغيير طريق سيرك لتتقى بذلك أجساماً ميتة .

وفي الصباح جلس السيد والسيدة يناقشان هذه الرؤيا . . ولكنهما لم يشكا في حقيقة الأمر . . وعللا الحوائط بعقبات سوف تصادفهما . . عقبات إنسانية أو طبيعية . . سوف يجتازانها . . وعللا الأجسام الميتة بموقعة تحصل . .

وفي خلال الأسابيع التي تلت تلك الرؤيا أحيط بهم ثلاث مرات . . أحاط بهم بدو معادون . . وسجنوا في الخيام هما ورجالهما . . والبدو من حولهم يتناقشون في قتلهم وطريقة القتل وظلا على ذلك حتى أدركهم من أنقذهم .

فلما كان أخر يوم في رحلتهم بين الكثبان المتموجة . . اضطروا إلى الدوران حول واد عميق فيه جثث أموات لصقت عضلاتهم بعظامهم . . جثث آدميين . . ودواب . . هذه قافلة قتلها العطش .

رأى السيد بعد ذلك رؤيا ثانية . . ففي جوف تلك الصحراء المجردة الصماء التي لم تخترقها من قبل قافلة . . رأى تلك المرأة في ثوب أبيض مقبلة نحوه من خلال الرمال الواسعة وقالت له :

خذ السلسلة التي تعلقها في عنقك وتعالى معي إلى قمة هذا الكثيب . . ثم أدفنها هناك . وفي الصباح إذا حضرت لتأخذها . . فسترى آثار قدميك وقدمي معاً . . وبذلك تعلم أنك لم تكن في حلم . .

فعل السيد كما أمر . . فلما انحدرا من فوق الكثبان قالت له المرأة :

سوف تقاسي آلاماً وكروباً عقلية . . ستشعر بأنك منكور من كل إنسان . . ستخاف . . سيخيل إليك أنه لم يبق لك من شئ في هذه الحياة . . ولكن كل هذا سوف يمضي . . ستعطى أكثر مما أملت أو تصورت . . ستكون رجلاً عظيماً . . في يديك قوة ويحف بك الغنى والشرف . . لا تخف . . هذا ما سطر .

فسألها السيد :

وما بال السيدة التي معي؟ . . ماذا سيحل بها؟ . .

وفي اليوم التالي قص السيد على رفيقته كيف أن الصوت الذي كان يخاطبه قد تلعثم وارتبك . فأصبح أقرب إلى البشرية . . وتفوه بكلمات تخللها توقف وتفكير هذه معانيها . . لا أعرف عنها شيئاً . . إنها ليست من ملتنا . . ولا أعرف لماذا . . ولكنها سوف تنجو في كل الظروف . . هذا محقق . سيحيط بها خطر عظيم . . ولكن لن يصيبها شئ . . سيحل بها حزن ويأس . . ولكنها ستنجو دائماً . . ليس في يدها دفع شئ ليس ذلك في طوق إرادتها . . ستسلك طرقاً عجيبة قد تؤدي إلى الموت . ولكن ليس من نصيبها أن تموت في ذلك . هذا ما كتب . سوف تنجو .

عندما ظهر الفجر الكاذب . . خيطاً أبيض الإهاب باهت اللون فوق الأفق . مبشراً باقتراب الشمس من البزوغ على رمال الصحراء المترامية . . اصطحب السيد رفيقته . . وأراها آثار أقدامه ذاهبة إلى أعلى الكثيب . . ثم هابطة منه . . وإلى جانبها آثار ظاهرة جلية متجانسة الخطو . . كانت آثار قدمين عاريتين . . ضغطتا على الرمل ضغطاً خفيفاً ليناً . . والنسمات من ورائها تسفي عليها الرمال الناعمة .

نظراً إلى هذه الآثار في صمت عميق . . وفي صمت أبلغ احتفر السلسلة من حيث قال السيد . . أما آثار القدمين العاريتين فانحدرت نحو الصحراء العريضة المغيبة الأسرار هناك كانا على بعد بضع مئات من الأميال عن كل مكان مأهول .

أما السيد فهو أحمد محمد حسنين باشا . . وأما السيدة فالمؤلفة الجوالة روزينا فوريس . وأما الرواية فقد وردت في كتابها (النورية بنت الشمس) في الصفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ "طبعة كاسل" :

هذا نص ما نشر بالمجلة المصرية المذكورة . . نقلاً عن حديث لمن وقع له . . وتأكيداً لرواية كتبتها من زاملت من وقع له . . وقد نشرت المجلة ذلك في حياة صاحب الواقعة . . وكان ممن تقلدوا وظائف كبيرة في الدولة . . حيث كان رئيساً للديوان الملكي ومن أحد كبار الشخصيات السياسية والاجتماعية في مصر . . فالحادث لاشك في صحته أصلاً . . وتفصيلاً .

والحادث يشتمل على أكثر من نشطة روحية . فهو مجموعة من أنشطة روحية للسيد نفسه وأنشطة لروح أخرى تهتم به . هي روح السيدة التي ظهرت له . . سواء أكانت روح سيدة مازالت تعيش حياتها الدنيا أم أنها انتقلت إلى عالم الأرواح .

والرؤيا الأولى لاشك أنها سباحة روحية للسيد اتصل فيها بروح السيدة التي حدثته بالرمز . . وأبلغته بالإشارة . . بوجود ثلاث عقبات وانه سيتخطاها .

أما الرؤيا الثانية . . فلم تكن رؤيا منامية . . وإنما أصيب السيد بغيبوبة مؤقتة أصبح بها وسيطاً روحياً . . وانطلقت روحه بجسدها الأثيري . . تسير مع روح السيدة التي تجسدت هي الأخرى . . فسارا معاً . . وخلع السلسلة ودفنها بيده الأثيرية . . وانطبع على الرمل آثار أقدامهما الأثيرية . . خفيفة غير ضاغطة . . ولو كان السيد التفت إلى المكان الذي كان فيه . . لرأى جسده المادي . . نائماً على ما كان عليه .

فهي جملة أنشطة روحية . . فيها السباحة الروحية . . وفيها الطرح الروحي المؤقت . . ثم التجسد الروحي . . ثم الالتقاء بروح أخرى تهتم به . . حيث عمدت إلى مساعدته في الخروج من محنته . وهدايته إلى طريق لم يسبقه إليه أحد . . ولم يعلم به من قبل إنسان . . واستمرت مصاحبتها له وقت العسر حتى جاء اليسر . . ثم أنها أخبرته ببعض حالة . . وما سيكون عليه مآله . . وحدثته عن زميلته . . ما كان منها . . وما سيكون لها وعليها .

٢- جلاء سمعي وبصري وتخاطر لصاحبة روح تجسدت

نشرت جريدة المصري في عددها الصادر في ٣١ أغسطس ١٩٤٨ وتحت عنوان :

تختفي وهي معه . .

ثم يجد صورتها واسمها على قبر . .

حادثة خارقة للعادة هل لها من تفسير؟

ما يأتي :

جاء في العدد الأخير من جريدة الريفورم الأسبوعية الفرنسية الذي صدر في الإسكندرية هذا الأحد نبأ قد لا يجوز أن يمر من غير أن يلتفت إليه الناس عامة . . ومن غير أن يحظى على الخصوص بالتفاته وعناية ودراسة وتفسير وبحث وتجربة وتعقيب من الهيئات التي تدخل حوادث هذا النبأ في دائرة اختصاصها . . هذا الحادث كما روته جريدة الريفورم يتلخص فيما يلي : .

ناد جديد في الإسكندرية يقيم حفلة افتتاحية في ليلة من الليالي المقمرة القريبة الماضية .

النادي مزدحم . . فيه مجموعة كبيرة من الشبان والفتيات . . يشربون . . ويرقصون ويمرحون جماعات . . جماعات . .

شاب من الشبان وحيد في هذا المجتمع المرح . . يلمح فتاة تجلس وحيدة هي الأخرى بعيدة عن الناس .

تقدم منها . وقد إليها نفسه . . فعرفته بنفسها . . فكانت بينهما صحبة . . استغرقت السهرة كلها .

ثم آن أن تنصرف الفتاة فاستأذنت صاحبها . فعرض عليها أن يصحبها إلى مسكنها . . إذا لم تر في ذلك مانعاً . فلم تمانع . . فسألها أين مسكنها فقالت له في الشاطبي . . وسايرها الشاب إلى الشاطبي وهناك مدافن الأروام الأرثوذكس .

وفي هذا الطريق الموحش الساكت الخالي . قالت الفتاة لصاحبها أنها تشعر بالبرد . . فخلع الفتى جاكتته ووضعها على كتفيها ليقيها البرد . . هنا الحادثة .

صاحبنا وذراعاه ممدودتان إلى أمامه ينظر إلى صاحبته التي دخلت في ملابسه . . فلا هي ظاهرة لعينيه . . ولا الجاكتة .

اختفت الفتاة . . واختفت الجاكتة . . إن الفتاة لم تجر . . إنها لم تتحرك . . إنها لم تسقط على الأرض . . إنها لم تطر إلى السماء ولكنها اختفت . . والجاكتة أيضاً اختفت . . أمر عجيب جداً .

احتار الفتى في فهمه . . أخذ يجري هنا وهناك لعله يرى لها أثراً . . فلم يجد أثراً . . لعله نادى . . أيضاً . . ولعله صرخ . . على أي حال تعب الفتى . . ويئس . وعاد إلى منزله . . وكتفاه تكادان تتساقطان من شدة ما كان يشعر بالبرد . . وقضى ليلة ساهراً . . مذهولاً . . أين الفتاة . . وأين ذهبت . . وكيف .

وما أصبح الصباح إلا والفتى في طريقه إلى المكان الذي اختفت فيه صاحبته وعند علامة عرف بها المكان رأى باب المقبرة مفتوحاً . . لم يدر ما الذي دفعه إلى أن يدخل المقبرة . . دخل . . وسار في طريق . . طبعاً لم يكن يقصد أن يسير فيه . . حتى الفتى نفسه . . عند قبر من الرخام أنيق وقد وضعت عليه جاكتته .

وتقدم مدفوعاً إلى القبر . . فرأى عليه اسم صاحبته . . وصورتها . . عندئذ فقد الشاب سلطانه على أعصابه . . وهو الآن في مستشفى كبير بالإسكندرية . . هذه هي الحادثة .

فإلى أي جهة يمكن أن تحول هذه الحادثة لتنظر فيها وتفسرها وتعالج المصاب فيها . . ظاهر أن هذه الحادثة تتصل بأمور الغيب . . والغيب من اختصاصات المعاهد الروحية . . والمعهد الروحي الذي نحافظ عليه لأنه معهد روحي هو الأزهر الشريف .

ولو سارت الأمور سيرها الطبيعي لكان لنا أن نسأل الأزهر ما رأيه في هذه المسألة . وكيف يعالج هذا الفتى المصاب وهل هذه الفتاة التي كانت معه هي نفسها الميتة صاحبة القبر . . وهل للميتة أن تغادر القبر لتسهر في مرقص . . وهل هي تغادره كل ليلة أو في ليال خاصة . . ثم هل هي ميتة بحق أو هي جنية عاشت باسم إنسانة ثم تصنعت الموت وهي الآن تسكن في هذا القبر . . ثم هل هي تسكن في هذا القبر . . ثم هل هي تسكن هذا القبر حقاً . . وعلى أي صورة

من الصور تسكنه ثم هل هي وحدها التي من هذا النوع أو هناك كثير مثلها . . ثم إذا كانت ميتة وتقوم من القبر لتسهر في المراقص . . فهل هذا نوع من أنواع البعث . . وهل هذا ثواب . . ثم هل يتقطع البعث فيبعث الميت ليلاً . . ويموت نهاراً . . ثم هل لو كان هذا بعثاً أفلا يدل حدوثه الصريح في هذه الأيام على شئ .

إنها أيام غير عادية قد تنطبق عليها أوصاف أخر الزمن الواردة في الكتب . . لمن نوجه هذه الأسئلة إذا لم يكن للأزهر الشريف . . .

وانتهى إلى هنا مقال الجريدة . . وبتاريخ ٥ سبتمبر التالي نشرت الجريدة تفسيراً علمياً للحادث للمرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير نصه :

الحادث في الواقع تجسيد لروح فتاة ميتة . . وتجسيد أرواح الموتى من الظواهر التي أقرها العلم الحديث واعترف بها العلماء . وقد اعترف العلامة السيكولوجي الدكتور ثاولس أستاذ السيكولوجيا التربوية حالياً بجامعة كامبردج في خطابه الذي ألقاه في مؤتمر السيكلوجيين الدولي الثاني عشر الذي انعقد أخيراً في أدنبرج بصحة الظواهر الروحية ومنها ظاهرة التجسد هذه .

ولا يتسع المجال هنا لشرح هذه الظاهرة شرحاً مسهبا . . وكل ما أستطيع قوله هنا هو أن الشرط الأساسي لحدوث هذه الظاهرة وجود وسيط روحي للتجسد تنبعث منه المادة اللازمة للتجسد . . وقد يكون الوسيط إذ ذاك واقعاً في الغيبوبة وقد يكون في يقظة تامة . . ومما لوحظ في حجرات التحضير أنه عند حدوث هذه الظاهرة تنخفض درجة الحرارة انخفاضاً كبيراً ملحوظاً . . ولابد أنه كان من بين الحاضرين في تلك الحفلة وسطاء لا يعرفون أنهم وسطاء . . ولابد أن يكون هذا الفتى وسيطاً دون أن يعرف .

وحوادث تجسيد الأرواح هذه كثيرة جداً . . وكتاب (خمسون من سني البحث الروحي) لمؤلفه العلامة هاري برايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية وصور بصورة فوتوغرافية لطبيب من كلية الجراحين بلندن هو الدكتور جيلي وهو يعد نبض روح متجسد لفتاة مضت على وفاتها سنوات . . وظهرت الروح المتجسدة في الصورة كذلك مرتدية ملابسها . .

وفي كتاب (ظواهر حجرة تحضير الأرواح) لمؤلفه الطبيب الدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينا بوليس بأمريكا . وصف لتجاربه في هذا الصدد وكيف أنه هو وزميلان له أجروا كشفاً طبياً بسماع الصدر على روح رجل ميت تجسد تجسداً كاملاً . . شمل الأسنان واللعاب . . وكيف أنه قص خصلة من شعر روح والدته . . الميتة . . وقد تجسدت فلما أن اختلفت فجأة عقب تحدثها معه بصوتها المعروف منه فحص الشعر فحصا هستولوجيا . . وحدث التجسد في حضور الوسيط فرانك دكر الذي لا يزال إلى يومنا يتابع مناشطه الروحية في جلساته التي يعقدها في نيويورك . . وقد استطاعت كوكب السينما ليوبولدين كونستانتين الأمريكية أن تراقص روح ولدها الميت بعد أن تجسد وظلت تراقصه عدة دقائق أمام الحاضرين الذين شهدوا هذا الرقص وكان عددهم أكثر من ثلاثين .

وفي حضور الوسيطة الأمريكية مسز فانشيون هارووود تجسدت روح الفتاة هيلين ملر الميتة كريمة الدكتور ملر الطبيب والجراح ببلدة أودسا الأمريكية في ولاية تكساس الغربية وعزفت قطعاً موسيقية على البيانو . . وتجسد روح والد ذلك الطبيب . . وكان في حياته الأرضية موسيقياً . . وعزف على البيانو لحن (الدانوب الأزرق) على حين تجسدت روح هيلين وروح شقيق لها وجعلا يرقصان على أنغام اللحن الذي كان يعزفه جدهما الميت على البيانو .

وظاهرة التجسد هذه تحدث في الظلام . . وفي الضوء الياقوتي الأحمر . . وفي الضوء الأبيض الناصع وفي بهرة ضوء الشمس . . كل ذلك يتوقف على مقدرة الوسيط الروحية . . وعندما تنعدم قوة التجسد يختفي الروح المتجسد على الفور وهو في مكانه .

وأعود إلى الحادث فأقول أن الفتاة التي ظهرت ثم اختفت روح تجسدت لتوافر أسباب التجسد فلما تجسدت اكتسبت صفاتها الأرضية الأولى . . وكأنها بعثت إلى الحياة من جديد . . أما جسد الفتاة الأصلي فلم يغادر القبر . . وقد يكون بلى . . وانحل وتبدد ولم يتجسد إلا الروح الطليق . . ولو كان الفتى تنبه عند اختفاء الفتاة لوجد الطعام الذي أكلته والشراب الذي شربته فوق الأرض في البقعة التي انعدم فيها التجسد فاختفت عن عينيه . . واكتفت

الروح عندئذ بتجسد جزئي طفيف مكن يديها من نقل الجاكتة حيث علقتها فوق القبر . . وتبدو الجاكتة كأنها طائرة في الهواء .

وأرواح الأحياء منا عند انطلاقها مؤقتاً كما هو الحال ونحن نيام قد تتجسد في مكان ما أو في حجرات التحضير بعيدة عن جسومها . . ويكون للروح عندئذ جسمان كل في مكان . . ويروي العلامة باترسيبي في كتابه (الإنسان خارج جسده) روايات غريبة في هذا الصدد . ولعل أغربها وأبلغها أن الدكتور مارك مكدونيل عضو مجلس النواب البريطاني ظهر في المجلس بينما كان مريضاً طريح الفراش لم يغادر جسده داره . . وقد رآه زملاؤه أعضاء المجلس في يومين متتاليين وهو يعطي صوته . . وبعد إعطاء صوته اختفى على الفور وأعضاء المجلس يشهدون .

والى هنا انتهى التفسير العلمي للحادث كما نشر بحذافيره في حينه .

ولاشك أن الأنشطة الروحية في هذا الحادث واضحة ظاهرة فلقد نشطت لدى الرجل موهبة الجلاء البصري . . فرأى الروح . . ونشطت كذلك ظاهرة الجلاء السمعي . . فسمع صوتها . . وتجسدت الروح التي لميتة . . فشوهدت له وكأنها حية . . ولم يشاهدها غيره . . إلا إذا كان وسيطاً . . أو له مواهب روحية نشطة وعلى ذلك لو فرض أنه كان هناك من يتابع هذا الرجل لوجد من أمره عجباً . . فقد كان ظاهرياً يتكلم مع نفسه . . ويضحك . . وحده . . ويسير منفرداً وكأنه مع غيره . .

ولقد تواترت الأنباء عن حادث مماثل وقع قريباً . . من عدة أسابيع حيث شاع أن أحد المارة في طريق صلاح سالم ليلاً . . استوقفته فتاة ترتعد من البرد . . وبعد حديث خاطف خلع جاكتته وارتدتها . . إلا أنها بمجرد ارتدائها للجاكتة اختفت فوراً . . وكأن السماء اختطفتها . أو الأرض ابتلعتها . . وسار يبحث عنها . . فيما حوله . . لعدة أمتار . . فوجد بالقرب منه . . مقبرة . . وعلى شاهدها . . الجاكتة . . التي أخذها وعاد يرتجف . . وهو في حيرة . . معللاً نفسه . . أنها فتاة أرادت مداعبته . . وأنها ألقت بالجاكتة . . فتعلقت بشاهد المقبرة . . وفي الصباح . ذهب إلى المقبرة وما حولها . . وقرأ اسم صاحبة المقبرة . . وعرف أصل مكان أسرتها . . فذهب إليه . . يسأل الخبر . فلما فتح له الباب . . وجد في صالة المنزل صورة نفس الفتاة . . التي توفيت من زمن قصير .

٣- حوادث وقعت للسيد آرثركونان دويل

يعد السيد آرثركونان دويل "Arthur Conan Doyle" من أشهر الأدباء .. حيث كان طبيباً وفي ذات الوقت أديباً وخطيباً وقصصياً ذائع الصيت .. ولعل كثير من القراء قد قرءوا له بعض قصصه عن شارلوك هولمز والدكتور واطسون .. وكان يتحدث فيها أحياناً عن الأرواح والأشباح .. لأنه له تجارب معها دامت أكثر من ثلاثين عاماً .. مما دفعه إلى تأليف عدة كتب في موضوع الأرواح منها : كتاب الوحي الجديد "The New Revelation" عام ١٩١٨ .. والرسالة الحيوية "The Vital Message" عام ١٩١٩ .. البينة على التصوير الروحي زThe Evidence for Spirit Photographyس عام ١٩٢٤ وتاريخ الروحية "The History of Spiritualism" عام ١٩٢٦ وغيرها من المؤلفات في هذا المجال .. وقد قام دويل بدور هام في إنشاء الكلية البريطانية للعلم الروحي "British College of Psychic Science" بالاشتراك مع السيد وليم باريت "Sir William T. Barrett" كما أسس المتحف الروحي بلندن عام ١٩٢٥ .

قد كتب السيد آرثركونان دويل عن حوادث غريبة وقعت له .. نقتطف منها ما يلي :

الحادثة الأولى:

كان السيد آرثركونان دويل مسافراً إلى سويسرا عام ١٨٩٢ وقاده الترحال إلى عبور ممر "جمني" فرأى على رأس الأكمة المشرفة عليه فندقاً منفرداً يطل على الوادي الذي تحته فقال في نفسه أن هذا الفندق يفتح صيفاً ويقفل شتاءً لتراكم الثلج عليه وشدة البرد فيه . ثم بلغه أن أصحابه لا يهجرونه أبداً .. بل يجمعون مؤونة الشتاء ويبقون فيه .. فجعل يفكر في أمره .. وحاك في صدره أن يؤلف قصة يجعل فيها سكان الفندق مختلفي الطباع جداً ويصف ما يحل بهم من اختلافهم هذا وهم مضطرون أن يقيموا في ذلك الفندق كل فصل الشتاء .. والناس تحتهم في الوادي عائشون على تمام الرفاء والهناء . وبينما هو يحل في هذا الموضوع ويؤلف القصة في ذهنه اشترى كتاباً في الطريق من تأليف الكاتب الشهير "موباسان" والقصة الأولى فيه كان عنوانها : الفندق "d'Auberge" فقرأها .. وإذا هي تصف ذلك الفندق عينه .. وموضوعها نفس

الموضوع الذي رتبه في ذهنه . وقال إنه لم يكن قد رأى هذا الكتاب ولا سمع به . . ولو أنه قام بتأليف تلك الرواية التي خطرت على باله لثبت انه سرقها من كتاب "موباسان" . فكان قوة غير طبيعية جعلته يفكر كما فكر "موباسان" تماماً . . ثم منعته من أن يكتب شيئاً يعد انتحالاً . . ولو أنه لم يكن يقصد الانتحال .

الحادثة الثانية:

إن المهارة التي أبداها السيد آرثركونان دويل في رواياته المشار إليها سابقاً جعلت الكثيرين يلجأون إليه كي يساعدهم في اكتشاف الجناة فكان يفوز بالمراد غالباً . وكان في حادثة من الحوادث التي طُلبت مساعدته فيها متهماً اسمه "جون ولدر" وهو يعمل بناءً . . هاجر إلى أمريكان . . فلم يكد يتناول البحث في هذه الحادثة حتى أخذ شخص ما يريد إليه الصحف من مدينة كاليفورنيا بعد أن يكتب على حواشيها عبارة التهكم والازدراء مشيراً فيها إلى بحثه في هذه الحادثة . ثم أن هذا الشخص كتب اسمه وعنوانه في حاشية جريدة منها وهو "جون ولدر" . فكتب السيد آرثوكونان دويل إلى رئيس الشرطة في تلك المدينة يسأله هل هذا الرجل مقيم هناك فأجابه بالإيجاب . فلم ير بدأ من حسبانه نفس الرجل المطلوب . . فأخبر بذلك رجال الشرطة في إنجلترا وهؤلاء بحثوا وحققوا فوجدوا أن جون ولدر الساكن في تلك المدينة هو غير جون ولدر المطلوب وأن الذي كان يرسل الصحف إلى السيد آرثركونان دويل هو شخص آخر معروف في تلك المدينة وهو أمريكي مختل الشعور . وقد علق السيد آرثركونان دويل على تلك الحادثة بقوله : "لا شبهة أنه لم يكن لهذا الرجل أدنى علاقة بالجريمة . . ولكنني لا أدري ما دعاه إلى الاهتمام بها . ولا ما هو سبب هذا الاتفاق الغريب" .

الحادثة الثالثة:

قال السيد آرثركونان دويل : كنت ماشياً مع زوجتي في منطقة "ألينشيو" بروما . . ولم تكن زوجتي قد رأت ذلك المكان . . ولا قرأت عنه شيئاً . . وكنا في اليوم الأول من زيارتنا لروما فقالت إننا سنرى هناك تمثال "دانتي" وبعد دقائق قليلة وصلنا إلى حيث كان تمثاله . . فقلت لها كيف عرفت ذلك؟ فقالت : لا أعلم .

٤- حوادث الاختفاء الغامض

من الظواهر المحيرة اختفاء بعض الأشخاص فجأة . . كما لو كانوا قد تبخروا أو أن الأرض قد انشقت وابتلعتهم! .

وقد حدث ذلك مرات عديدة . . وفي أماكن متعددة وأزمنة مختلفة . . ولكن مهما تكررت هذه الظواهر المحيرة فإن أحداً لا يتوقف أمامها طويلاً لأن التفسير "الجاهز"- حتى لو لم يكن مقنعاً في بعض الحالات- هو أن هذا الاختفاء حدث بفعل فاعل . . رغم أننا لا نعرفه ولا نستطيع الاهتداء إليه . . وحسنا جداً هذا التفسير في الواقع . . لأننا إذا لم نأخذ به فإننا نفتح بذلك الباب على مصراعيه أمام جرائم خطف الأشخاص أو قتلهم وإخفاء جثثهم بدعوى أن قد حدث لهم "اختفاء غامض"! .

ولكن "الاختفاء الغامض" مع ذلك حقيقة واقعة . . بل ومتكرر في الزمان والمكان . . و"الفاعل" فيه يظل مجهولاً مهما بذلت من جهود للكشف عنه .

ومن الأمثلة الأخيرة لهذا "الاختفاء الغامض" ما حدث في مدينة الإسكندرية منذ سنوات . . إذ كانت إحدى السيدات تسير مع زوجها في الطريق العام . . وفجأة اختفت من جانبه . . قيل أنها سقطت في حفرة في الأرض . . ولكن عندما فتشت هذه الحفرة لم يعثر على السيدة . . واهتمت السلطات بالأمر . . وقامت بإجراء تفتيش دقيق في المكان شمل شبكات المجاري والصرف في المدينة والإنفاق القديمة التي تخلفت عن الإسكندرية البطلمية . . بلا جدوى . . وأخيراً ألقي القبض على الزوج ووجهت إليه تهمة قتل زوجته وإخفاء جثتها . . فكانت بلواه بذلك مضاعفة! .

وقد اهتمت الصحف حينئذ بالحادث اهتماماً كبيراً . . وكانت تفرد الصفحات بمتابعة أخبار البحث عن السيدة . . ثم توقفت فجأة عن الحديث عن "السيدة المختفية" ولا أدري ماذا تم في الحادث أو ماذا جرى للزوج المسكين .

وهناك حادث آخر مشهور وقع في أمريكا في القرن الماضي وهو يذكر عادة كمثال نمطي لحالات الاختفاء المفاجئ .

فقد حدث بعد ظهر يوم ٢٣ سبتمبر ,١٨٨ في مدينة "جالاتين" بولاية تنيسي الأمريكية . . أن ركب القاضي أوجست بيك عربته التي تجرها الجياد . . وخرج من المدينة في ذلك اليوم الدافئ اللطيف . . بقصد قضاء الأمسية مع صديقه دافيد لانج الذي كان يملك مزرعة صغيرة تبعد ١٢ ميلاً عن "جالاتين" وكان القاضي يقود العربة بنفسه . . ويصحب معه شقيق زوجة دافيد لانج الذي جاء لاصطحابه .

وعندما أصبح القاضي أوجست بيك على بعد ميل من منزل صديقه . . انعطف بالعربة في حارة ضيقة إلى جانب مزرعة صديقه التي تبلغ مساحتها ,٤ فداناً . . وبعد دقائق شاهد القاضي صديقه دافيد لانج يسير بمفرده عبر الحقول . . وشاهد لانج أيضاً ولوح له بيده ثم عاد على عقبيه نحو المنزل الريفي الذي يبعد مئات من الياردات عن المكان الذي كان يقف فيه .

ولكن لانج لم يصل أبداً إلى المنزل . . ففجأة اختفى عن أعين كل المشاهدين . . وصرخت زوجة لانج التي كانت تقف في شرفة المنزل الريفي عندما شاهدت زوجها يختفي من أمام ناظريها . . وكذلك شاهد المنظر مع الزوجة والقاضي ورفيقه طفلا لانج وهما جورج (٨ سنوات) وسارة (١١ سنة) وكانا ينظران عبر الحقول يتابعان عربة القاضي القادم . وبعد دقائق كان الأشخاص الخمسة يهرولون داخل الحقل نحو البقعة التي اختفى فيها دافيد لانج .

في أول الأمر . . ظن القاضي ورفيقه أن لانج قد سقط في حفرة بالأرض . . ولكنهما لم يعثرا على أية حفرة . . لم تكن هناك سوى الأرض الجافة التي خلفها صيف مشمس حار . . وبعد فترة من البحث انهارت زوجة لانج في نوبة هستيرية . . فحملاها إلى المنزل . . ثم دقا جرس الإنذار في المزرعة . . فخرج القرويون من منازلهم . . وجاءوا يستطلعون الأمر ويشاركون في البحث عن السيد لانج . . وعندما أرخى الليل سدوله كانوا قد فتشوا كل شبر في المزرعة والطرق المؤدية لها دون أن يجدوا أثراً واحداً يدل على مكان المختفي .

أثار لغز اختفاء دافيد لانج اهتماماً محلياً كبيراً . . فنشرته الصحف بتوسع . . وأخذ الناس المحبون للاستطلاع يأتون إلى الحقل ويحدقون في البقعة التي شوهد فيها لانج لآخر مرة . . وأصيبت زوجة لانج بانهيار عصبي . . وغادر الخدم المنزل خوفاً من الليالي الموحشة . . وتعطفت

السلطات المحلية فوضعت حرساً على منزل لانج لإبعاد المتطفلين عن الأسرة الصغيرة الخائفة . . كما قامت السلطات بحفريات واسعة في الحقل عل مظنة وجود كهوف تحت الأرض ولكنها لم تجد سوى الحجر الجيري الصلد . . ولم يعد دافيد لانج إلى الظهور بعد ذلك أبداً . . تماماً كما حدث للسيدة المصرية في مدينة الإسكندرية! .

في عام ١٨٩٦ . . بعد ستة عشرة سنة على اختفاء لانج . . نشر الكاتب البريطاني الشاب هـ .حـ . ويلز الذي يعد من رواد فن الخيال العلمي رواية قصيرة بعنوان "قصة بلاثبر" وهي تدور حول مدرس كيمياء يدعى المستر بلاثبر . . كان يقوم بتجارب على مسحوق غريب أخضر اللون فحدث انفجار في المعمل . . ونسف السيد بلاثبر في "البعد الخامس" ووجد بلاثبر نفسه في عالم غريب من الظلال تنيره شمس خضراء . . هذا العالم يبدو أنه متقاطع مع عالمنا الأرضي على نحو ما . . وتعيش فيه كائنات غريبة مهمتها مراقبة الأحياء على هذه الأرض التي نعيش فيها . . فهي تقضي كل وقتها في مشاهدة عالمنا ومحاولة التأثير فيه خيراً وشراً . ومن حسن حظ السيد بلاثبر . . بعد مغامرات كثيرة تعرض لها- أنه كان يحتفظ معه بالزجاجة التي تحوي المسحوق السحري . . فاستطاع أن يحدث انفجاراً آخر عاد به مرة أخرى إلى إنجلترا القرن التاسع عشر التي ينتمي إليها! .

***

وقصته ويلز هذه . . محض خيال بالطبع . . ولكنها جديرة بالذكر لأنها أول إشارة في الفن الروائي إلى ما يسمى "بالبعد الخامس" وهي فكرة ظل العلماء والرياضيون يبحثونها عشرات السنين . . فمثلاً كان الرياضي الروسي العظيم "لو باتشفسكي" الذي مات عام ١٨٥٦ أول من أشار إلى أن الهندسة التي ندرسها في المدارس والمعرفة باسم هندسة اقليدس ليست هي الهندسة الصالحة للتعامل مع الكون . . لأنها تقتصر على قياس الأبعاد الثلاثة للمسطحات ولا تصلح للأشكال الكروية . . فمثلاً نجد أن مجموع زوايا المثلث المرسوم على سطح كرة اكثر من ١٨ درجة . وجاء بعد ذلك العالم الألماني برنارد . . وهو عبقري رياضي آخر . . فقال بأن الفضاء الكوني نفسه ملتو . . واخترع هندسة خاصة بهذا الفضاء المنحني . . وكذلك عندما وضع العالم

الطبيعي الشهير ماكس بلانك "النظرية الكمية" التي تقول بأن الضوء والحرارة ليستا موجات وإنما دقائق أو جزئيات- وجد من اللازم بالنسبة له أيضاً أن يخترع هندسة يكون فيها الفضاء ذا أبعاد كثيرة أخرى غير الأبعاد الثلاثة المعروفة .

وبالطبع . . ليس في إمكاننا مجرد أن نتخيل عالماً له عشرات الأبعاد . . تماماً كما أنه ليس في إمكاننا أن نتخيل ألواناً أخرى غير ألوان الطيف المحددة التي يتخلل إليها شعاع الضوء خلال منشور زجاجي ونستطيع رؤيتها بأعيننا المجردة . . وهي : الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي . فهذه الألوان السبعة هي التي نستطيع التقاط موجاتها . . ولكن إذا كانت أعيننا من القوة والحساسية بحيث يمكنها أن تلتقط ما تحت الأشعة الحمراء أو ما فوق الأشعة البنفسجية لأمكننا أن نرى ألواناً أخرى لا تخطر لنا على بال . . ومن المستحيل علينا أن نتصورها كما يستحيل على الأعمى ابتداء أن يدرك معنى الألوان . . ولكن مثل هذه الموجات الضوئية موجودة بالفعل ومستخدمة في الطب وغيره . . فإذا كانت مثل هذه الألوان الجديدة ممكنة علمياً . . فلماذا لا تكون "الأبعاد الجديدة" ممكنة أيضاً؟ .

إننا نعيش بحكم طبيعتنا المادية في مدى محدود من الذبذبات لا نستطيع إدراك ما هو أدنى منها وما هو أعلى وهذا ما يحدد لنا الأبعاد المكانية الثلاثة التي يحيط بها إدراكنا . . ولكن ذلك لا ينفي احتمال وجود أبعاد أخرى في هذا الكون لا تخطر لنا على بال وإذا حدث فينا التغيير المناسب فإننا حينئذ هذه الأبعاد الجديدة ونشاط عوالم مختلفة تماماً .

فهل يكون دافيد لانج . . مثل بلاثبر في قصة ويلز . . والسيدة المصرية في مدينة الإسكندرية . . قد اختفوا في البعد الخامس؟ هذا ما لا سبيل إلى التحقق منه . . أنه مجرد فرض نظري بالطبع . . أما الذين شاهدوا الحادث فقد وصفوا اختفاء لانج بأنه يشبه انفجار فقاعة الصابون! .

وهناك حادث شهير مماثل وقع في صيف . . هذه المرة في جلوشستر بجنوب غربي إنجلترا . . إذ خرج ثلاثة أخوة أطفال من أسرة فوغان يتمشون في حقل مجاور لمنزلهم . . وفجأة اختفوا عن الأنظار . . وهم صبي في العاشرة من عمره وشقيقتاه الصغيرتان . . وخرج سكان القرية للبحث

عنهم . . واستمر البحث ثلاثة أيام تم خلالها مسح القرية بأكملها وكل المنطقة المحيطة بها شبراً شبراً دون أن يعثروا للأطفال على أثر . وفي فجر اليوم الرابع بينما كان أحد الفلاحين يسوق محراثه في طريقه إلى العمل . . ألقى نظرة إلى الحقل فشاهد الأطفال الثلاثة نائمين في حفرة قليلة الغور وفي مكان ظاهرة تماماً للأعين . . وعندما أوقظ الأطفال وسئلوا عما حدث لهم قالوا انهم لا يذكرون إطلاقاً أي شئ حدث لهم منذ دخلوا إلى الحقل إلى أن أوقظوا في الحفرة .

وفي أواخر الأربعينات استجوب باحث مهتم بالظواهر الغريبة الصبي فوجان . . وكان قد أصبح عندئذ رجلاً في الخمسينات من العمر . . فقال أنه لا يذكر شيئاً مطلقاً عما حدث .

كانت وجهة نظر البوليس وقت الحادث أن الأطفال الثلاثة قد اختطفوا ثم أعيدوا خوفاً من انكشاف الجريمة . . بل وقد وجه هذا الاتهام بالفعل إلى الفلاح الذي أرشد عنهم . . ولكن الاختطاف لا يفسر لماذا فقد الأطفال ذاكرتهم . . كما أن عائلة فوغان كانت أسرة فقيرة لا يمكنها دفع أية فدية مهما كانت بسيطة . . ثم لماذا يتجشم الخاطف عناء خطف ثلاثة أطفال معاً بدلاً من واحد فقط يؤدي الغرض المطلوب؟ لم يجد البوليس بالطبع إجابة عن مثل هذه الأسئلة . . وظل الحادث غامضاً .

■ ■ ■

أشهر التجارب الروحية فى العالم

7

عالم الأرواح

١ـ تجسد كاتي كنج في حضور السيد وليم كروكس:

يعد سيد وليم كروكس "Sir William Crookes" من أبرز علماء الفيزياء والكيمياء الحديثة . . وله العديد من الاكتشافات العلمية . . فقد اكتشف عناصر جديدة مثل التاليوم والفيكتوريوم والاستريا . كما اخترع الراديومتر الذي يعمل بتأثير الضوء وحده . . وكذلك الاسبنتاريسكوب "Spinthariscope" وأنابيب كروكس المستخدمة في توليد أشعة رنتجن . كما اكتشف خواص المادة المشعة . . وكان عضواً بالمجمع العلمي البريطاني ثم رئيساً له حتى وفاته .

وقد استخدم كروكس في أبحاثه الروحية أشد الأساليب العلمية صرامة . . وصمم عدة أجهزة لمنع التدليس وخداع الحواس وقد باشر كروكس بحوثه على عدد من الوسطاء مثل مسز مارشال زMarshallس في عام ١٨٦٩ ومورس "Morse" والوسيط الشهير دانييل دونجلاس هوم "Daniel Dunglas Home" ففي حضور كروكس كانت وساطة هوم تجعل الأكورديون يعزف ألحاناً جميلة وهو يجوب في جو الغرفة . . بالإضافة إلى ارتفاع الوسيط بكرسيه من على الأرض إلى أبعاد مختلفة .

وقد أثبت كروكس تجاربه في كتابه الشهير "بحوث في الظواهر الروحية" Researches In The Phenomena of Spiritualism

وأقوى تجارب كروكس وأدعاها للاقتناع تمت مع الوسيطة فلورنس كوك "Florence Cook" التي تجسدت في حضورها روح تجسداً كاملاً . . هي روح كاتي كنج "Katie King" . . والتي

ذكرت أنها كانت تعيش على الأرض تحت اسم أني أوين مورجان "Annie Owen Morgan" في جزيرة جامايكا . . في عهد الملك شارل الأول وأنها أنجبت طفلين وماتت مبكرة في سن الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين . وذكرت أسماء بلدان وطرقات وجبال وأنهار ومعالم كثيرة في الجزيرة لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً . . وتحقق كروكس فيما بعد من صدق البيانات التي قالتها . كما تحدثت عن ذكرياتها الأرضية . . وعن احتلال الجنود الأسبان للجزيرة . . وقد صورها كروكس أكثر من أربعين صورة . وأخضع الروح المتجسدة كما أخضع الوسيطة لكشف طبي دقيق بمعرفة الدكتور جالي "Gully" الأستاذ بكلية الجراحين وأرسل صورها مع تقريره والتقرير الطبي إلى الجمعية الملكية (المجمع العلمي البريطاني) .

ولم يكن تجسد كاتي كنج في حضور كروكس جديداً على متتبعي كشوف البحث الروحي . . فقد وصفها قبله العالم والوزير الروسي أكزا كوف "Aksa koff" وكان ظهورها عن طريق الوسيط إدنجتون "Edington" . . ووصفها كروكس بعد تجسدها لأول مرة بوقت كاف . وقد وصفتها من بعده مدام دي لافيرسي "De Laversey" في المجلة الروحية الفرنسية[١] . . كما وصفها من بعده أيضاً الباحث الفرنسي جابرييل ديلان "Gabriel Delanne" في مؤلفه "الروح خالدة" . . وكل هؤلاء رأوها رؤية العين في ظروف مختلفة وتواريخ متباعدة .

ونحن ننقل هنا للقارئ وصف هذه الظاهرة الغريبة كما ثبتت في محضر جلسة يوم ٢١ إبريل من سنة ١٨٧٢ . . الذي نشره في جريدة "الإنسان الروحي" .. The Spiritualist أحد الحاضرين وهو مستر وليام هاريسون "W. H. Harrison" رئيس تحرير هذه الجريدة الذي دعي لحضور التجربة المثيرة . . وهو مطابق بدوره لما رواه كروكس عنها[٢] .

"سمع فجأة طرق على ألواح الزجاج وصوت موجة إلى مستر كوك والد الوسيطة فلورنس بأنه ينبغي أن ينزح بالوعة منزله إذا شاء حفظ بنيانه من التداعي . . فكلف من قام بفحص البالوعة

---

(١) أعداد مارس إلى أكتوبر سنة ١٨٩٧ .

(٢) وذلك بالإضافة إلي الوصف الذى كتبه كروس بقلمه فى جريدة الإنسان الروحى فى مجلد سنة ١٨٧٤ ص٢٧٠ . . وفى الجريدة العلمية الربع السنوية Quarterly Journal Of Seience التى كان كروس نفسه هو رئيس تحريرهافي ذلك ا لوقت . .

فوراً وتبين أن قاع المنزل قد امتلأ فعلاً بالماء الذي فاض نتيجة للأمطار . . ثم حدثت سلسلة من الظواهر الغريبة التي أخذت تزداد دقة بفضل وساطة مس كوك . . إلى أن كانت الجلسة التي ظهرت فيها كاتي متجسدة في حالة من نصف الظلام . . وقد وصفها مستر كوك بأن وجهها كان بيضاوياً وأنفها منحنياً . . كما كانت عيناها نابضتين بالحياة ووجهها بالغ الجمال" .

ثم حدثت جلسة التجسد الثانية . . وفي هذه الجلسة جلس لفيف من الحاضرين بين الوسيطة وبين الروح وهو ما يثبت أن الشبح لم يكن ازدواجاً للوسيطة . وقد ثبت أيضاً في محاضر الجلسات اللاحقة ما يلي :

"ظهر وجه كاتي لنا وقد التف بالبياض حتى تمنع السيال "Fluid" من أن يتبدد سراعاً طبقاً لما قالته . ثم أعلنت أن وجهها هو الذي تجسد فحسب وأمكن للجميع أن يروا ملامحه جلية . . وقد لاحظنا أن عينيها كانتا مغلقتين واستمر الوجه ظاهراً لمدة نصف دقيقة اختفى بعدها . ثم طلبت زيادة الضوء فأمكن لكل واحد منا أن يبصر وجهها وهو يفيض شباباً وجمالاً وسعادة وعينيها وهما تفيضان حيوية وذكاء إلى حد ما . ولم يعد وجهها باهتاً غير محدد كما كان لدى ظهوره في ٢١ من إبريل سنة ١٨٧٢ لأول مرة لأنها صارت تعلم الآن خيراً من قبل ما ينبغي عليها أن تفعله طبقاً لقوها" .

ثم توالت الجلسات بنجاح وازدادت قوة كاتي كنج شيئاً فشيئاً . . على أنها لم تتملك المقدرة على الظهور بحرية . . وفي بهرة الضوء خارجاً عن الغرفة المظلمة وبشكل إنساني أمام جمهور من المشاهدين المشدوهين إلا بعد خبرة طويلة ابتدأت غير كاملة في مبدأ الأمر ولكنها تكاملت تدريجياً . ومنذ تلك اللحظة بسطت على الوسيطة رقابة قاسية منظمة . . فأعلن صحة هذه الظواهر كل من العلماء بنجامين كولمان "Benjamin Colman" والدكتور جيمس جالي "James Gully" وجورج سكستون "Sexton"[١] بعد دراسة أحيطت بكل أسباب التحفظ .

وقد التقط كروكس بيديه لكاتي كنج عدة صور في ضوء المغنسيوم بلغت أكثر من أربعين صورة على عدة دفعات . . وكانت متجسدة فيها تجسداً كاملاً وواقفة في القاعة في ظروف

(١) كان الدكتور جورج سكستون عالمًا قديرًا وكان من أعداء الروحية الحديثة ولكنه انضم إليها بعد تجارب خمس عشرة سنة جعلته من أقوى دعاتها وكان الدكتور جاللي بدوره من أعدائها ثم انقلب إلي الدفا عنها .

أخضعت لرقابة بالغة[1] . ومنذ بدأت وساطة مس كوك في الظهور تبرع لها شارل بلا كبون بهبة مالية كبيرة كـ لت لها نفقاتها ولذا كانت جميع جلساتها مجانية .

ولم تتم التجارب التصويرية بغير احتياط فقد اصطحبت مدام كورنر "Corner" وكريمتها الوسيطة إلى غرفتها حيث طلبتا منها خلع ملابسها لفحصها جيداً ثم ألبستاها معطفاً كبيراً من القماش الرمادي بدلاً من ثوبها الذي كانت ترتديه . . ثم اصطحبتاها إلى قاعة الجلسة وقد قيد معصماها بشريط من المعدن كما فحصت جميع أركان الغرفة . . ثم جلست مس كوك ووضع الشريط الذي كان يقيدها في حلقة من المعدن ثبتت في الأرض . ووضع فوقها رداء كان بمثابة ستار للخباء وربط طرفه بكرسي بحيث إذا تحركت الوسيطة أحس بها الجميع على الفور . ثم نامت الوسيطة . . وبعد لحظات ظهرت كاتي كنج وتقدمت في الغرفة مرتدية فستاناً أبيض مفتوح الرقبة قصير الأكمام بحيث آثار جمال رقبتها الرائعة وذراعيها إعجاب الحاضرين .

وعندما اخذت لها الصور في الأوضاع المطلوبة أخذت تتمشى في الغرفة متحدثة مع الجميع ومداعبة إياهم . . وأخذت الصور في ضوء المغنسيوم . أما إضاءة الغرفة فقد استمرت بعد ذلك بواسطة شمعة ومصباح صغير وقرب انتهاء الجلسة أعلنت كاتي أن قواها في طريق الانتهاء . . وأنها آخذة في الانهيار فشاهدناها تجلس القرفصاء . . ثم اختفى جسدها ولامس رأسها الأرض وكانت الوسيطة لا تزال بعد مقيدة الوثاق" . ثم حدثت تجسدات أخرى عن طريق مس كوك وتحررت محاضر بما حدث وقع عليها الحاضرون .

وقد أنكر الماديون طبعاً صحة هذه الظواهر الغريبة وأثاروا حولها غباراً كثيفاً حتى بين أنصار هذه الروحية الجديدة . . ولكن تجارب كروكس كانت قد طبعت تجسدات كاتي كنج بطابع رسمي لا محل للمنازعات فيه وأبانت كيف أن الجسد الأثيري لا يمثل المظهر الخارجي للإنسان فحسب . . بل وكذلك الأعضاء الدقيقة من جسده . . كما أظهرت تجارب هذا العالم كيف أنه لا يمكن تعليل ظهور كاتي كنج بأنه ازدواج للوسيطة .

---

(١) ويقول كروكس في مقالة فى مجلة الإنسان الروحى "The Spirualist" (مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ وما بعدها) إنه كما قد ثبت قواعد للتصوير فى أمكنة مختلفة من الغرفة فى منزله الخاص وكانت الروح تتجسد ليليًا فى منزله لمدة أسبو حتى تمكنه من أن يلتقط لها صورًا فى الضوء الصناعى . وأنه كان يلتقط لها أحيانًا خمس عشرة صورة فى المجلس .

فقد أورد كروكس عدة تفاصيل عن الفروق التي سجلها بنفسه بين أوصاف الروح المتجسدة كاتي كنج والآنسة فلورنس كوك الوسيطة الروحية . . ومن أهم هذه التفاصيل :

١- أن طول كاتي كنج لم يكن ثابتاً في جميع الجلسات . . لكنه كان دائماً أطول من طول الوسيطة بأربع بوصات ونصف إلى ست بوصات .

٢- أن رقبة كاتي كنج كانت ملساء من ناحيتي الملمس والنظر حين كانت برقبة الآنسة كوك بثرة كبيرة وكانت خشنة الملمس . . كما كانت بشرة كاتي أكثر بياضاً من بشرة الآنسة كوك .

٣- أن أذني كاتي كانتا غير مثقوبتين على عكس الآنسة كوك .

٤- أن وجه كاتي كان ضاحكاً . . أما وجه كوك فكان عابساً .

٥- أن أصابع كاتي كانت أطول من أصابع الآنسة كوك .

٦- أن شعر كاتي كان ذهبياً بينما كان شعر الوسيطة الآنسة كوك أسود فاحماً .

ولتكملة الحديث عن كاتي كنمج نقتطف الفقرات الآتية من محضر الجلسة الأخيرة التي ظهرت فيها كاتي كنج في حضور السيد وليم كروكس وعلماء آخرين : "كان بمقدور الجميع أن يروا الوسيطة في غيبوبتها وقد غطى وجهها بنقاب أحمر لحمايتها من الضوء . وكانت كاتي تتحدث واقفة أمام الحاضرين عن قرب رحيلها . وتقبلت باقة من الورد قدمها لها مستر تاب Tapp كما قدم إليها وليم كروكس بعضاً من أزهار الزنبق ربط بعضها بالبعض الآخر فطلبت كاتي من المستر تاب أن يفك الباقة وينثر الأزهار علينا ونحن من حولها كما كتبت خطابات وداع إلى بعض الجالسين ووقعت على الخطابات باسم آني أوين مورجان "Annie Owen Morgan" قائلة إن هذا هو اسمها الذي كانت تعرف به أثناء حياتها الأرضية . وقد اعترفت كاتي كنج بأن والدها كان قرصاناً يدعى هنري مورجان "Henry Margan" وأنها أثناء حياتها الأرضية كانت لصة وضليعة في الكذب والمخادعة وزانية[1]" .

(1) Troy Taylor.. The Haunted Museum.

ثم حررت خطاباًلوسيطتها واختارت لها برعم زهرة كهدية للفراق ثم أمسكت بمقص وقصت خصلة من شعرها وأعطت إلى الجميع كمية كبيرة منه . . ثم أمسكت بذراع كروكس وأخذت تتجول معه في أنحاء الحجرة مصافحة أيدي الجميع إلى أن عادت إلى مكانها وقصت قطعاً عديدة من فستانها ونقابها وأهدتها للحاضرين . . فسألوها عما إذا كانت تستطيع أن تصلح من التلف الذي أصابهما كما فعلت في مرات مسابقة فعرضت جزءاً مقطوعاً من فستانها وضربت عليه بيدها . . وللحال عاد الجزء كاملاً كما كان .

وأعطت كاتي بعدئذ تعليماتها الأخيرة إلى كروكس وإلى باقي أصدقائها فيما يتعلق بما ينبغي اتباعه نحو الظواهر الأخرى التي وعدت بأن تجريها مستقبلاً . ثم بدا الإعياء عليها وقالت والحسرة بادية عليها إنها ترغب في الرحيل وأن قواها آخذة في الزوال . . كما شكرها هؤلاء على ما منحته إياهم من ظواهر رائعة . . وكانت أثناء ذلك تلقي نظرة تفكير وأسى عميقين على الجميع . . وتركت الغطاء ينزل وصارت غير منظورة منا . ثم سمعناها توقظ وسيطتها الآنسة كوك التي توسلت إليها وهي تذرف الدموع أن تمكث بعض الوقت . . ولكن كاتي أجابتها "لا يمكنني يا عزيزتي فقد انتهت رسالتي وليباركك الله . وسمعنا صوت قبلة الوداع ثم تقدمت الوسيطة وصارت بيننا وقد هدها الإجهاد والحزن العميق تماماً" .

وظل ظهور كاتي كنج يتكرر لمدة ثلاث سنوات أخرى . . وكانت تقول إنها بقيامها بإحداث هذه الظواهر الفيزيقية تحملت كثيراً من العناء وإنه صار لها بعد ذلك أن ترقى في حياة الروح إلى منزلة أسمى . . وإنه لن يمكنها أن تتصل بعد الآن بوسيطتها عن طريق المراسلة إلا في فترات متباعدة . . ولو أن بمقدور الوسيطة أن تراها عن طريق وساطة الجلاء البصري .

ومن الطريف أن الدكتور جلين هاملتون "Glen Hamilton" رئيس جمعية البحث الروحي S.P.Rبكندا ذكرا أيضاً أن روح كاتي كنج عادت إلى التجسد من جديد في أكتوبر من عام ١٩٣٠ بوساطة مرسيدس "Mercedes" . . كما أنها تجسدت بالقاهرة عندما عقد الوسيط راينهارت جلسة بنادي الأطباء بتاريخ ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٧ . . وكان أخر ظهور لها في روما عام١٩٧٤ .

٢ـ من تجارب الوسيط الدنماركي الشهير اينر نيلسن "Einer Nielsen":

يذكر الوسيط الدنماركي الشهير اينر نيلس Einer Nielsen في كتابه الذائع الصيت "براهين حاسمة على الحياة بعد الموت" "Solid Proofs of Survival" .

العديد من تجابه الروحية نقتطف منها ما يلي :

كانت لي تجارب مدهشة إثر كوني وسيط للجلاء البصري . ففي أحد الأيام جاءتني سيدة هي مسز ف وأخبرتني أن إسورة ذهبية سرقت منها وأنها تشك في أن خادمتها الصغيرة هي اللص وكانت البنت قد أكدت لها أنها لم تأخذها وبكت . ولكن لما لم يكن هناك أي شخص آخر في البيت فلم تنتبه السيدة إلى احتجاجها وطلبت منها أن تغادر المنزل .

وأردت أن أساعدها فجلست أتأمل هل أستطيع أن أتأكد مما حدث . وفي نصف غيبوبة رأيت الصورة الآتية : حفل به سيدات يقام في منزل مسز ف . ذهبت السيدات إلى الحديقة ولكن إحداهن وهي ترتدي ثوباً أسود ووردة حمراء في حزامها تخلفت . ذهبت إلى مخدع صغير وفتحت صندوقاً كان موضوعاً على المنضدة . أخرجت منه شيئاً ووضعته في ثيابها وأسرعت إلى الحديقة حيث كانت الضيفات الأخريات .

وسألت مسز ف . إذا كان هذا الحفل قد أقامته في منزلها قبيل اكتشافها للسرقة فأكدت لي بعد لحظة من التردد . وعرفت أيضاً من هي السيدة ذات الثوب الأسود ولكنها أضافت "مستحيل . لا يمكن أن تكون هي لأنها سيدة ثرية جداً" واقترحت عليها أن تذهب وتتحدث مع السيدة وتخبرها عن القصة كلها . فقالت "لا . لا أريد أن أفعل ذلك . ولكن سأقول أني حلمت هذا وبعدما أتكلم معها سوف أخبرها بالنتيجة" .

وتلقيت خطاباً بعد بضعة أيام من مسز ف وبه دعوة للغداء في اليوم التالي وعندما وصلت قابلت مسز ف في الحديقة وقالت لي "إني مسرورة لكي أراك يا مستر نيلسن- لقد استعدت إسورتي وسوف أخبرك بكل القصة" ذهبت إلى المنزل الصيفي بعد تناول المرطبات وقالت لي "في اليوم التالي للقائي معك ذهبت إلى مسز م وتكلمت معها بشأن السرقة التي سببت لي المضايفة . وقلت لها أننا شككنا في الخادمة الصغيرة ولكنها أكدت لي أنها بريئة . ثم قلت لها عن رؤيتك مدعية أنها كانت حلماً" .

وبمجرد أن انتهيت من قصتي جلست مسز م تبحلق أمامها ولاحظت أنها تقاوم نفسها . وأخيراً قامت بدون أن تنطق بكلمة واحدة وخرجت من الغرفة وعادت بالإسورة في يدها . ولابد أن الدهشة طغت على لأن مسز م بدأت تتكلم وقالت "إنك تبدين مندهشة لأنك لا تستطيعين أن تعتقدي أني لصة– أنا مصابة بداء السرقة . وكنت هكذا منذ نعومة أظفاري . في ذلك الوقت كنت أسرق من المحلات ولكن أبي كان رجلاً معروفاً ولذا فقد رتب أبواي لإعادة ما أسرقه أو لشرائه . وزوجي يعرف هذا الضعف عندي ولكن استطعت خلال السنوات الأخيرة أن أقاوم هذا الإغراء ولم يعد ذلك يقض مضجعه" .

وبالطبع وعدت ألا أخبر أي إنسان بهذه الحادثة وخرجت– وعندما كنت أغادر طلبت مني مسز م أن أعطي هدية للبنت الصغير تعويضاً لها عن الاتهام الذي سبب لها العذاب وفعلت ذلك واستمرت البنت الصغيرة في العمل بالمنزل .

وبعد هذه الحادثة بقليل كانت لي تجربة مشوقة أخرى مع نفس العائلة . لقد أحبت ابنتهم شاباً تعرفت عليه . وكنت أعرف هذا الشاب كاي[1] فقد كنا معاً في الخدمة العسكرية . وكان ولداً طيباً مستعداً دائماً لمساعدة زملائه وذا مروءة وكان والده من الطبقة العادية وكان عمله في إحدى المصالح لا يدر عليه مالا يكفي لإعالة عائلة وقالت الفتاة[2] جردا لأبويها عن حبهما ولكن أباها الذي كان من الجيل القديم وقف ضدها وأراد إرسالها إلى سويسرا لمدة عام على الأقل .

وجاءتني جردا وهي يائسة وأخبرتني عن القصة كلها . وكان كاي معها وتأثرت لها ولكن ماذا كان عليّ أن أصنع؟ عندئذ قال لي كاي "أتعتقد أن أصدقاءك الروحيين يمكنهم أن يساعدونا؟" .

قلت له "ربما . . فقد تسألهم" وبعد لحظة رأيت ميكا . لقد عرف ما يدور بيننا وقال "أظن أنك تستطيع مساعدتها بناء على مجرد صدفة وهذه الصدفة سوف تربط بين الشاب والشابة معاً" ولم نحصل على نصيحة أخرى وودعنا ميكا واختفى .

---

(1) Kai.

(2) Gerda.

ولم يكن هناك أي شئ آخر لنعمله سوى أن ننتظر الأحداث . ذهبت جردا إلى سويسرا كما أراد والدها وظل كاي في مصلحته يعمل بروح منحطة لم يكن لديه أمل في زيادة مرتبه قريباً ولهذا السبب كان يبحث عن عمل آخر وكنت أزور أحياناً والدي جردا .

وذات يوم قال لي والدها مستر ف عن مصنعه الجديد الذي كان سيفتح قريباً وسألني "هل تظن أنك بمواهبك الفريدة يمكنك أن تساعدني على اختيار رجل ماهر يشرف على مصنعي الجديد؟" وكان قد وضع في نفس الوقت كومة من الطلبات أمامي . وبدأت أفحصها وتوقفت أمام أحدها فقد بدا الخط مألوفاً لديّ . وكان طلب كاي . لقد تقدم بطلب بدون علم من أجل وظيفة في مصنع مستر ف . وبزغت في ذهني الفكرة أن هذه هي الفرصة التي تكلم عنها ميكا . ولم يكن مستر ف قد قابل كاي أبداً . فلماذا لا أساعده؟ وضعت الطلب أمام مستر ف وقلت "تقول لي حاستي السادسة أنك سوف تقتنع بهذا الرجل" .

ودخل كاي في أول إبريل في وظيفته الجديدة وسار فيها بنجاح . وبعد قليل أصبح اليد اليمنى للمدير في جميع النواحي بعد سبعة شهور وكانت قد عادت جردا مبكرة من سويسرا تقدم مدير مكتب مستر ف ليطلب يدها للزواج . ووافق مستر ف الذي كان مسروراً ليزوج ابنته إلى مثل هذا الشاب القدير الكفء وأصبح الزوجان سعيدين وتحققت كلمات ميكا .

■ ■ ■

الخاتمة

هل حقاً إن الإنسان الذي يقتل ويموت
ظلماً لا تهدأ روحه حتى تثأر من قاتلها؟

وفي نهاية رحلتنا مع عالم الجن والأشباح . . وبعد ما استعرضناه معاً من سابق ما تناولناه من وقائع . . وقصص معظمها ـ إن لم تكن جميعها ـ تدور في دائرة عدم التصديق . . نتوقف معاً عند ما يردده العامة . . قبل الخاصة من المعتقدين فى الظواهر غير الطبيعية . . من أن الإنسان الذى يقتل ويموت ظلماً لا تهدأ روحه حتى تثأر من قاتلها . . خاصةً وقد تحولت هذه التيمة الدرامية لواحدة من أشهر أفكار أفلام الرعب العالمية المتميزة مثل فيلم " What lies beneath" و "Dig" وغيرها من الأفلام . . والغريب أن هذه الأفلام التي يعتبرها الكثيرون محض خيال ربما لا تقاس بما يحدث أحياناً فى الحقيقة . . ونسوق هذه القصة الواقعية للتدليل على ذلك . . ومع قضية من أشهر القضايا التى نظرتها المحاكم الأمريكية نتوقف . . فهى القضية التى نالت شهرةً كبيرة لأن الشاهد الوحيد الذى ألقى بكلمة الفصل فيها كان مجرد شبح . .!!

شبح القتيلة قدم وصفا تفصيليا للجريمة..

تعود هذه الحكاية الغريبة الى عام ١٨٩٦ عندما انتقل إدوارد شو الى قرية جرين بربر فى ولاية غرب فرجينيا للعمل كحداد بها . . وهناك التقى بـ " زونا هيستر " التي وقع فى غرامها على الفور . . ولان الفتاة بادلته نفس الشعور فقد اضطرت والدتها " مارى جان " للموافقة على زواجهما رغم عدم ارتياحها ل إدوارد الذي شعرت بانقباض نحوه وكأن هناك شيطاناً يسكنه على عكس مشاعر ابنتها المتيمة . . وهكذا تم الزفاف .

بعد مضى عدة شهور فوجئت الأم بخادم الأسرة الصغير وهو يخبرها أنه ذهب إلى منزل " زونا " لسؤالها إن كانت تحتاج إلى شيئٍ من زوجها ليحضره لها قبل عودته من العمل . . لكنه فوجئ بها ملقاة ـ نائمة ـ على الأرض . . وعندما أخذ يناديها لم ترد عليه . . وعند سماع هذه الأنباء السيئة ذهبت الأم إلى منزل ابنتها فوراً ومعها الطبيب لتفاجأ بجيران الفتاة وهم يلتفون حول منزل ابنتها ويخبرونها أن الفتاة ماتت . . وفى داخل المنزل المنكوب كان إدوارد ـ الزوج ـ يصرخ فى مشهد هستيري وهو يحتضن جثة زوجته الشابة ويرفض أن يقترب أحد منه .

وعندما طلب الطبيب أن يكشف عليها اشتد بكاء إدوارد وأخذ يشد بقبضته على الزوجة الميتة وهو يمنع الطبيب من الاقتراب منها . . ويصرخ قائلاً :

ـ لا أحد يقول أنها ماتت . .

فلم يكن يتصور شكل الحياة دون زوجته الجميلة الصغيرة . . وبكل تأكيد تأثر الطبيب كثيراً من هذا المشهد ولكن هذا التأثر لم يمنعه من ملاحظة تغيير فى لون وجنة الفتاة ولكن الوشاح الذى كان يلف رقبتها منعه من تفحص الأمر بدقة . . وكتب الطبيب فى تقريره أن سبب الوفاة هو صعوبات أثناء الولادة .

كان السبب الرسمي غريباً للغاية لأن الفتاة لم تكن حاملاً أصلاً . . أما الأكثر غرابة في القضية فهو إصرار إدوارد أن يلبس زوجته أفضل ثيابها . . ويلف رقبتها بايشارب ويضع وسادة تحت رأسها داخل التابوت وهو الأمر الذى أثار انتباه الأم والأقارب . . لكن الزوج ـ المكلوم ـ فسر ما يحدث باعتبار أن هذا الوضع كان المفضل دائما لدى زوجته عندما تنام . . ولكن هذه الكلمات التي كان من الممكن أن تخدع أي إنسان لم تنطل على الأم التي كانت تعرف ابنتها أكثر من أي شخص آخر .

أثناء الجنازة ووسط دموع الأهل على الفقيدة كان إدوارد حريصاً على الانتهاء بأسرع وقت من كل الطقوس ودفن الفتاة . . مع رفضه الكامل اقتراب أي شخص من الجثة ليلقى عليها نظرة الوداع الأخيرة . . وهو الأمر الذي زاد من شكوك الأم أن ابنتها لقيت حتفها بطريقة غير طبيعية . . وأن الزوج متورط بشكل أو بآخر في وفاتها هكذا فجأة . . ولان هذه الأم تؤمن كثيراً بما وراء الطبيعة . . فقد انتزعت جزءا من رداء ابنتها واحتفظت به معها . . وعند العودة إلى

المنزل قامت وفى طقس قديم بوضع قطعة الثياب في إناء مملوء بالماء ألقت عليه بعض التعاويذ ليستحيل الماء إلى اللون الأحمر الأمر الذي أكد كل شكوكها .

بعد مرور عدة أسابيع على هذه الأحداث المثيرة كانت الأم لا تتوقف عن الدعاء لحل لغز وفاة ابنتها الشابة . . وفى إحدى الليالي فوجئت الأم بظهور شبح ابنتها في الغرفة معها . . لم ترتجف السيدة التي كانت تتوقع أن يحدث مثل هذا الأمر . . وفى هذا اللقاء تحدث شبح الفتاة وأخبرها أن إدوارد كان سيئ الطباع وأنه كان يتشاجر معها دائماً . . وفى ليلة موتها تشاجر معها لأنها طلبت منه نقوداً . . وأثناء ثورته أخذ يضربها بعنف حتى انكسر عنقها وحتى يدلل الشبح على كلامه لف رقبته حول نفسها بطريقة كاملة . . وقال الشبح إن إدوارد حاول إخفاء الأمر بربط عنقها بالايشارب ووضعها على الوسادة . . وبعد هذا الحديث ذهبت السيدة في الصباح إلى قاضى البلدة وهى لا تملك أي دليل على القتل سوى رواية الشبح .

وأمام توسلات الأم وإصرارها تقرر فتح التحقيق في ظروف وفاة الفتاة واستخراج الجثة . . وإعادة تشريحها . . وبالفعل أثبت الكشف وجود كسر فى عنق الفتاة . . وآثار لكدمات على جسدها وتم إخضاع الزوج للتحقيق ليتضح أن زونا لم تكن زوجته الأولى . . فقد تزوج مرتين الأولى انفصلت عنه بسبب عنفه المبالغ فيه . . والثانية لقيت حتفها في ظروف غامضة . . وفى التحقيقات أخذ إدوارد يردد أنه لا يوجد أي دليل ضده حيث كان في عمله وقت اكتشاف الخادم وفاة الفتاة . . كذلك فان أحداً لم يشاهده وهو يتشاجر معها .

ورغم هذا النفي انعقدت المحكمة وحضرها كل أهالي القرية تضامنا مع الأم . . ونادى القاضي على الأم باعتبار أن روايتها عن شبح ابنتها هي الدليل الوحيد ضد إدوارد ورغم ذلك صدر الحكم على الزوج بالسجن مدى الحياة . . ورغم مرور عشرات السنوات ظل الأهالى يتساءلون : هل ظهر الشبح فعلاً للأم؟ . . أم أنها هي التي قامت بتحضيره واستدعائه . . أم أن الموضوع لم يكن به شبح أصلاً وأن شكوك السيدة في زوج الابنة هو ما دفعها لتوجيه أصابع الاتهام له؟

لا توجد إجابة مؤكدة حول هذا الموضوع ولكن المؤكد أن هذه هي القضية الوحيدة في المحاكم الأمريكية التي تمت فيها الإدانة اعتماداً على أقوال شبح .

■ ■ ■

المراجـــع والمصـــادر

■■

المراجـع العربيــة

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الكتاب المقدس .
٣ ـ عبد الرزاق نوفل : من أسرار الروح . . كتاب اليوم . . مؤسسة أخبار اليوم . . القاهرة . . ١٩٧٧ .
٤ ـ رؤوف عبيد : في الإلهام والاختبار الصوفي . . دار الفكر العربي . . القاهرة . . ١٩٨٦ .
٥ ـ رؤوف عبيد : الإنسان روح لا جسد ـ بحث في العلم الروحي الحديث . . ط٢ . . دار الفكر العربي . . القاهرة . . ١٩٦٦ .
٦ ـ أينر نيلسن : براهين حاسمة على الحياة بعد الموت . . ترجمة علي عبد الجليل راضي . . مكتبة الأنجلو المصرية . . القاهرة . . ١٩٧٧ .
٧ ـ برنارد الأسطه : السحر والقوى الخارقة في الإنسان . . دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر . . بيروت . . لبنان .
٨ ـ فؤاد صروف : رسائل الأرواح . . مطبعة المقتطف والمقطم . . القاهرة ، ١٩٢٨
٩ ـ أحمد الشنتناوي : فنون السحر . . سلسلة اقرأ . . دار المعارف . . مصر . . يونية ١٩٥٧ .
١٠ ـ حقائق وغرائب : مكتبة مدبولي بالقاهرة . . دار ابن زيدون بلبنان .
١١ ـ عبد العزيز جادو : الروح والخلود بين العلم والفلسفة . . سلسلة اقرأ . . دار المعارف . . مصر فبراير١٩٧٠ . .
١٢ ـ ج .ب . راين : العقل وسطوته . . ترجمة محمد الحلوجي . . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .
١٣ ـ على عبد الجليل راضي : أضواء على الروحية . . دار الفكر الحديث للطبع والنشر . . القاهرة ، ١٩٦١ .
١٤ ـ ماثيو مانتج : الاتصال بين عالمين . . تعريب وتقديم رؤوف عبيد . . دار الفكر العربي . . القاهرة ، ١٩٨١ .
١٥ ـ عبد العزيز جادو : العودة للتجسد في المفهوم العلمي الحديث . . منشأة المعارف . . الإسكندرية ، ١٩٧٤ .
١٦ ـ محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين . . مج ٤ . . مطبعة الواعظ . . القاهرة ، ١٩٣١ .

المراجع أجنبيــة:

1 -Troy Taylor : Into the Shadows
2- Arthur G. Wells : Life now and Forever
3- Andrew Jackson Davis: The Law of Humanity
4- Andrew Jackson Davis : The Great Harmonia
5- Troy Taylor : Down in the Darkness.
6- Andrew Jackson Davis: The Present age and the Inner Life.
7- Hudson Tuttle: Career of Religious ideas
8- Hudson Tuttle: Stories From Beyond the Border Land.
9- Sir William Crookes : Researches in the Phenomena of Spiritualism

محتويات



مرحباً بك فى عالم الرعب..

العالم الغامض

الذى يثير دائماً اهتمامات الناس

لخوض المجهول..

إنه عالم الأرواح والأشباح

انتقينا لك منه فى هذه الكتاب من الأسرار

والعجائب ما يشيب له الولدان..

نصيحة من الناشر لا تقرأ

هذا الكتاب قبل النوم..



للنشر والتوزيع

W.Salama 010 15 17 873